مختارات
من
المثنوي العربي النوري
لمؤلفه
بديع الزمان
سعيد النورسي
اختارها وقدم لها
أديب إبراهيم الدباغ

مطبعة الزهراء حلب
الهدية للوصل
١٣٧٥

مختارات
من
المثنوي العربي النوري

حقـوق الطبـع محفوظـة

الطبعـة الاولـى

١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م

مطبعـة الزهـراء الحديثـة

موصـل - شارع الـنـجـفي تلفـون: ٤٨٣٨ ص. ب: ٤٦٢

مختارات
من
المثنوي العربي النوري

لمؤلفه

بديع الزمان

سعيد النورسي

اختارها وقدم لها

أديب إبراهيم الدباغ

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٠٤

المؤلف في سطور

■ ولد سعيد النورسي في قرية «نورس» القريبة من بحيرة «وان» شرقي تركيا سنه ١٢٩٣هـ من ابوين صالحين يضرب بهما المثل في الورع والتقوى.

■ سطعت شخصيته ببوارق النبوغ والذكاء منذ حداثة سنّه، وتلقى العلوم الاسلامية على أشهر علماء عصره، وتبحر في هذه العلوم بجهده الشخصي، ونال اجازته العالِمية وهو ابن اربع عشرة سنة.

■ شغفته العلوم الحديثة واستأثرت باهتمامه فانكب على دراستها منذ سنة ١٨٩٣م في (وان) فدرس الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والجيولوجيا.. الخ والّف في البعض منها.

■ اشتهر وذاع صيته حتى عرف بـ «سعيد المشهور» و «بديع الزمان» لذكائه الخارق ونبوغه المحير.

■ نظَّم من بعض طلابه والمتطوعين فرق «الانصار» عند اشتعال الحرب العالمية الاولى وعين قائداً عاماً لها ودخل معارك عديدة ضد القوات الروسية المعتدية أثارت اعجاب القادة العسكريين وثناءهم على بلائه الحسن.

■ وفي ساحات الحرب وبين الخنادق الّف كتابه القيم في التفسير «اشارات الاعجاز في مظان الايجاز» وقد املاه على احد تلامذته الملازمين له.

■ سقط جريحاً في هذه الحرب واسر من قبل الروس وبقي في سيبريا مدة سنتين واربعة اشهر ولكنه استطاع الهرب من الأسر والعودة الى استانبول.

■ ألف مجموعة من الرسائل باللغة العربية ثم جمعها في كتاب اسماه «المثنوى العربي النوري» على غرار «المثنوى» لجلال الدين الرومي.

■ الف بالتركية «رسائل» في غيبيات الدين (كالآخرة والقيامة والحشر. . . الخ) واسماها (رسائل النور) واعتبر المثنوى أمّاً لهذه الرسائل. واستمر على التأليف الى سنه ١٩٥٠.

■ وافاه الاجل المحتوم في ٢٣ مارت ١٩٦٠م الموافق لليلة القدر في رمضان سنة ١٣٧٩ في مدينة اورفه، ودفن في جامع (اولوجامع) ثم اخرج جثمانه بامر السلطات ودفن في مكان مجهول.

المقدمة

يهبط «الايمان» أولَ ما يهبطُ في قلوب الصفوة الأولى من «المؤمنين» غضّاً، ندّياً، مشرقاً، متوهجَ النور، متقد الجذوة، يُضيء جنبات النفس، ويُشيع في الروح.. الحرارةَ والدفء والحماس والحركة.

فلا غرو أن تنهض -بهذا الايمان- شعوبٌ، وتقوم دولٌ، وتنمو حضارات.

ثم يمضي هذا «الايمان» عبر الزمن، مارّاً بالأجيال والأعصار، وهو كلّما أوغل في سيره، وأبعدَ في ترحاله.. أوهنته الأيام، وأضعفته السنون، ومصّتْ رواءَه الدهور، وأيبست نداوته سَموم العصور؛ فيشيخ ويهرم، حتى لا يكاد يبقى من ماء حياته وتوهج نوره، وإشراق شمسه.. إلّا ذُبالاتٌ واهنة شاحبة، ترتعش في ظلمات الأفئدة -بين فترة وأخرى- كما ترتعش ذبالة النفس المدنفة في صحوة من صحوات الموت قبيل إنطفاءتها الأخيرة.

وعندما يصل «الايمان» هذه المرحلة الخطرة والحرجة في حياة الشعوب والدول، والحضارات؛ فما أسرع ما تتهاوى وتنهار وتنهدم وتتحول الى ركامات بشرية بائسة تحيا على هامش الحياة، وخارج تأريخ العظمة والمجد والبطولة.

ولكن.. لماذا يشيخ «الايمان» ويهرم؟ وكيف يصل في الأنسان حافّة الخطر، ونقطة الحرج؟!

يحدث هذا عندما يَحْقُرُ الانسان نفسه العظيمة، ويدفع بوجوده الواسع الممتد نحو التصاغر والتضاؤ ل والانكفاء، ويدس آماله البعيدة الواسعة في قمقم «الدنيا» ويُغلق عليه حدودَ حياته التى لا حدود لها، ويطبق دائرة روحه المفتوحة والمنداحة بين شواطىء الأزل والأبد، على زمانه ومكانه المحدودين الضيقين، فتتعاظم -عندئذ- «الدنيا» في حس المؤمن ووجدانه، وتتضخم صورتها في نفسه وعقله، فتصبح -بعد هذا- أكبر همّه، ومبلغ علمه... بينما تغيب «الآخرة» عن ذهنه، وتحتجب عن خياله، وتتوارى عن إهتماماته، ولا تعود تَشْغَلُ من نفسه إلّا مساحة صغيرة لا تكاد تبين أو تظهر.

والأنسان أبديٌّ بفطرته، أي أنه مخلوق للأبد والخلود، ولولا ما يمكن أن يسبق الى وهم «المؤمن» شيء من معاني «الألوهية» إذا ظلَّ حيّاً ولم يصبه الموت في دنياه... لما كتب الله تعالى عليه الموت. وفي الحديث القدسي ما يوميء الى ذلك؛ يقول الله تعالى:-

(... وما ترددتُ في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نَفْسِ المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مُساءَته)[1].

فهو -تعالى- يُقهره بالموت ويعلمه أن الموت والحياة بيد الله وحده، وأنّ أبدية الانسان ليست ذاتية تنبع من ذاته، وإنما هي عطاء كريم من عطاءات الله، وأنه -تعالى- قادر على سلبه هذا العطاء متى يريد وكيف يشاء.

فالآخرة-إذن-هي الامتداد الطبيعي للدنيا، وقد خلقها الله ومنحها منحة الخلود والأبد ليستأنف فيها الانسان -مؤمناً أو كافراً- حياته الأبدية في الجنة أو النار.

والعاقل من البشر، هو الذي يعمل لدنياه بقدر مكوثه فيها، ويعمل

---

(١) رواه البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه.

لآخرته بقدر ما سيمكث فيها أيضاً. . ومن السخف والحماقة أن تنسينا أعمارنا المحدودة القصيرة على هذه الأرض -مهما طالت واستطالت، وخلت من المتاعب والمنغصات- ما ينتظرنا من حياة أخروية أبدية لا نفاد لها ولا إنتهاء.

وعندما ينسى «المؤمنون» هذه «الحقيقة الايمانية» أو يتناسونها، وتغيب عن أفكارهم وتحتجب عن بصائرهم. . يبدأ «الايمان» في قلوبهم يضعف ويهزل ويضمر، ويغدو -بالتالي- عاجزاً عن الصمود إزاء مغريات الدنيا ومفاتنها وسرعان ما يتساقط «هؤلاء المؤمنون» في شباكها، ويغوصون في أوحالها، ويخطبون ودّها، ويتملقون لها، ويتصرفون فيها تصرف «الدنيويين» المنغمسين في رمال سرابها إلى أذقانهم.

وهنا يكون «الايمان والمؤمنون» في خطر عظيم ومأزق جسيم. . ينتظران «مجدِّداً» ينقذ «الايمان» ويقرع أجراس الخطر في أسماع «المؤمنين».

ومما يشير الى هذا -أي حاجة الايمان والمؤمنين الى مجدد بين زمان وزمان- ما ورد في الأثر بما معناه: - (إن الله تعالى يَبعث لهذه الامة على رأس كل مئة سنة مَن يجدّد لَها دينها»[1].

والمجدد الحق ينبغي أن يكون على علم:

من أين يمكن للايمان أن يُؤتى، وكيف؟ ومن أي ثغرة يُؤتى المؤمنون؟

وينجح «المجدد» في أداء مهمته على قدر استيعابه للاسلام، وتشربه بروح القرآن، وتفهمّه لأسرار الايمان مع إحتوائه لروح عصره واستبطانه لعقول الناس ونفوسهم، وما يدور فيها من أفكار وما يشغلها من مشاكل ومعضلات!

---

(١) رواه ابو داود والحاكم والبيهقي فى المعرفة عن ابى هريرة/ حديث صحيح.

لذا لزم أن يكون لكل عصر وزمان «مجدّده» الذي ينهض بأعباء عصره، ويتحمل أثقال زمانه، ويقوم بتكاليف رسالته بمسؤولية عالية، وإحساس حاد بالواجب، وشعور -كشعور الأنبياء- بقدسية الأمانة التي حُمّلَها من دون الناس.

والمجددون -وإن كان محور عملهم واحداً وهو تجديد الايمان- إلاّ أنهم مع ذلك مختلفون فكراً وأسلوباً ومشرباً، فلا يمكن لأيّ منهم أن يُغني عن الآخر، أو يقوم مقامه.

فهم ليسوا سواءً، فالمجدد الذي يَطْلُعُ في خريف الايمان، هو غير ذلك الذي يأتي في شتائه، والذي يَقْدُمُ في عصر «خمود الايمان» وهبوط حرارته، هو غير ذلك الذي ينجم في عصور الشك والهدم الذي يتناول بمعاوله أصول الأيمان وجذوره.

ويبرز في تاريخ «التجديد في الاسلام» عمالقة إيمانيون، وعباقرة موهوبون، أعطوا «الايمان» رحيق أفكارهم وأرواحهم، وأغنوه برؤاهم، وعمّقوه في القلوب بمعارفهم وكشفوا للمؤمنين عن تجاربهم الايمانية، ومعاناتهم الروحية في تزكية النفس، وتطهيرها من علائقها الدنيوية الحاجبة عن الآخرة -ما يُعَبّدُ- أمام السالكين، الطريق الى الله، ويَبصّرُهم بوهادها وشعابها وحزونها وسهولها.

... فرجال كالخليفة الراشد «عمر بن عبدالعزيز»، والأمام الغزالي، والشيخ الكَيلاني، والأمام الرباني، ومولانا جلال الدين الرومي صاحب المثنوي الشهير[1]. وغيرهم، هم درر وضاءة مشعة في تاج الأيمان

---

(١):
عمر بن عبدالعزيز (٦٢-١٠١) هـ.
الامام الغزالي (٤٥٠-٥٠٥) هـ.
عبدالقادر الكيلاني (٤٧٠-٥٦١) هـ.
الامام الرباني (٩٧١-١٠٣٤) هـ هو احمد الفاروقي السرهندى الملقب بمجدّد الالف الثاني جاهد فتنة الملك (اكبر) في الهند الذى ادّعى الالوهية، له مؤلفات منها (مكتوبات) ترجمه الى العربية محمد مراد المنزلوى.
جلال الدين الرومي (٦٠٤-٦٧٢) هـ.

والاسلام، لا يمكن للزمن ان يطمس وضاءتها او يكدر صفاءها.

وصاحب «المثنوي العربي النوري» بديع الزمان سعيد النورسي، قد عرف هؤلاء الأفذاذ، وقرأ لهم ولأمثالهم من رجال الايمان، وذاق مذاقهم، ونهل من مناهلهم، وأفاد من تجاربهم، ولكنَّ عصرَه غيرُ عصرهم، وزمانه غير زمانهم، وآفات الايمان في عصره غير آفاته فيْ عصورهم، والمآتي التي أُتيَ منها «الايمان» في عصره، غير المآتي التى أُتيَ منها في عصورهم، حتى إنه ليقول لأحد تلامذته، مشيراً الى إختلاف المعالجة من عصر الى عصر:-

(لو عشتُ زمنَ الرومي لكتبتُ المثنوي، ولو عاش الرومي في عصري لكتب رسائل النور)[1].

فعصر «النورسي» عصر متميز منفرد بكل خواصه ومكوناته، لا يشبه -في تعقيداته- عصر أيّ مجددٍ جاء قبله... فهو عصر زلزالي خطير، هزّ كلَّ ما توارثته البشرية من قيمٍ ومثل وأفكار، وأشاع فيها الفوضى والاضطراب والشك والقلق... وهو زمن التفجرات الفكرية والنفسية للبشرية قاطبة... وهو عصر الثورة والتمرد على الدين والايمان والفضيلة.

وهو أيضاً عصر «تأليه العلم» وعبادة «العقل والطبيعة» وهيمنة «الشك» حتى على مسلمات الانسان وبدهياته المنطقية وأصوله العقلية...

ورغم أن هذه الثورة العارمة أوربية قلباً وقالباً، إلّا أنها مع ذلك ألهبَتْ العالم كله، ووصل لهيبها الى أقطار «العالم الاسلامي» أيضاً بنسب مختلفة بحسب قرب هذا القطر أو بعده، وصلته بالمنطقة المشتعلة أو انعزاله عنها، وكان «لتركية» المسلمة القائمة على حوافي «أوروبة» القسط

(١) وهى الرسائل التى كتبها النورسي فى العلوم الايمانية منذ سنة (١٩٢٦-١٩٥٠) والبالغ عددها اكثر من مئة وثلاثين رسالة.

الأعظم من هذا اللهب والدخان.

وليس صعباً على «النورسي» ذي الذكاء الخارق، والعقل الاستيعابي الشمولي أن يحيط بكليات الفكر الأوربي الحديث، ويُلّم بفلسفاته وعلومه ويطلع على إيجابياته وسلبياته. ويقف على تأثيراته في «الأنسان المعاصر» وفي تكوين أفكاره الجديدة، وتغيير نظرته الى الوجود والحياة، وأخيراً كيف دفع -هذا الفكر بمعطياته المادية- بشرية «القرن العشرين» الى هذا الموقف البارد واللامبالي من الدين والايمان عند البعض، والى العداء الصريح عند البعض الآخر.

ولم يكن «الفكر الأوربي» لينجح مثل هذا النجاح في غزو الشعوب الاسلامية في عُقردارها، لو لم يجد هذه الشعوبَ في حالة من الذهول الروحي عن الآخرة، حيث لم يعد للآخرة ذلك الحضور القويّ والدائم في ذات المسلم وكيانه، فتضاءل هذا المسلم وانكمش، ودخل دائرة «الدنيا» الضيقة المحدودة بعد أن مات إحساسه العميق بالامتداد والاستطالة الى ما وراء الدنيا... ولم تعد الآخرة اكثر من شبح باهت يتراءى له في خيالاته وأحلامه.

ولم يبدد «النورسي» وقته الثمين بهوامش المشكلة وجزئياتها، ولم يناقش فرعياتها، أو يدخل في مطارحات عقيمة حول مناقضات «الدين» وموافقاته لمنطلقات «الفكر الأوروبي» ومذاهبه الأخلاقية والسياسية والاجتماعية كما فعل الكثير من الكتاب الاسلاميين ويفعلون اليوم، وإنما توجّه رأساً وبخط مستقيم الى «المشكلة الأساس» وهي:

هذه الضبابية التى تتكاثف يوماً بعد يوم، وهي تكتنف «غيبيات الدين» -كالحشر والآخرة والجنة والنار والثواب والعقاب في ذهن المسلم وفي خياله...

فمضى «النورسي» يسلط حرارة أفكاره على هذه الضبابية المخيفة فإذا هي تتبخر تدريجاً وتنزاح من ذهن المسلم وخياله، وتشرع كتاباته

ترهف ما تبلّد من مشاعر القلب والروح، وتشحذ ما صديء من أشواق الى الملكوت، وتفتح كوىَ النفوس ومنافذ الضمائر على نفحات الغيوب، ورَوْحِ وريحان الجنان في آخرة الرحمن.

والنورسي نفسٌ شاعرة، وروح لهيف، وقلب مشتاق، ووجدان رقيق مرهف، وبصيرة نفّاذة مذواق، وبصر لمّاح رصّاد لا تفوته بارقة من بوارق الجمال الكوني، ولا تفلت منه سانحة من سوانحه، وطائر عجيب يلقط لآليء الحسن من فوق جيد الوجود، وظامیء عطش يترشف زلال الجمال من رضاب ثغور الأكوان... ومع كونه يملك كل صفات «الشاعر العظيم» إلّا أنه لم يقل شعراً، أعني أنه لم ينظم شعراً كما ينظم الشعراء، ولكن ما قاله في «المثنوي» رغم أنه يحمل ميزات «النثر» ومقوماته شكلاً وقالباً، إلّا أنه شاعري الروح والنفس، وجداني الانسياب رشيق في صوره وأخيلته مع عمق أفكاره ودقيق معانيه.

والشعر -بعد هذا وذاك- قد يضطر للكذب أحياناً حتى يَعْذُبَ، ويضطر للمبالغة في كثير من الأحيان حتى يحفز ويثير ويحرك، وهو من أجل تصوير معنىً من المعاني، وتجسيم قيمة من قيم الجمال والحق قد يجنح الى ما وراء المعقول، ويهبط في خياله على «اللامعقول» من الأخيلة والصور..

وكلام النورسي في «مثنويه» -رغم روحه الشاعرية- منّزهٌ عن هذا كلِّه، فهو يتعامل مع صور «الحقيقة» ويتحاور مع آثارها، ويناقش ظلالها على صفحة الوجود وهو لا يفعل اكثر مما يفعله الرّسام البارع في الصورة الباهتة وقد حالت خطوطها وانطمست معالمها، واختلطت ألوانها... فيمّر عليها بِفرشاته المطواع ليبعث الدفء والحرارة فيما بَرُد من ألوانها، ويُجَسّم ما غام وشحُب من معالمها، ويمنحها أبعادها التشكيلية، ويهب الرائي عمق الرؤية، ونفاذَ النظر الى دواخلها.

فالمثنوي العربي النوري، ليس سوى لوحة فنية رائعة الجمال،

رسمها فكرٌ ملتهب ولَوّنها قلبٌ دامٍ ، وسكب عليها الظلَّ والضياء روح حزين مغترب، فلا عجب إن شدّتْ -هذه اللوحة- إليها الانتباه، وقيدت بها الأفكار، وحبست عليها الأرواح وأوقفت لها القلوب.

وهي بموسيقية ألوانها، وتناغم ظلالها وأضوائها، وإشراق آفاقها، وامتداد أمدائها، وعمق أبعادها، وجمال تعبيرها؛ تأسر الألباب، وتشدَه النفوس، وتهز رواكدَ الأشواق في الانسان الى «ما وراء» هذا العالم الضيق المحدود.. وإلى «ما وراء» هذه الحياة التى مهما طالت فهي دون ما يرجوه من خلود، ودون ما يُراوده من آمال في البقاء والأبد.

إنّ «إيماناً» لا تُذكي جذوتَهُ الأشواقُ الى الله، ولا تُلهب حماسَه لوعةُ الحنين الى جمال «الآخرة» ولايُوري زناده عطش دائم الى الخلود والبقاء، هو إيمان تقليدي بارد، واعتقاد هشٌّ، سريع التفتت والانكسار، تستهدفه سهام الاعداء أول ما تستهدف وتتناوله معاول الخصوم أول ما تتناول.

فالمسلمون كلُّهم -إذا حاورتهم- مؤمنون بالآخرة؛ ولكنَّ القليل منهم من يشتاق إليها شوق العاشق الولهان الذي لا يتردّد -إذا جَدَّ الجدُّ- أن يجعل «دنياه» كلها صداق وفائه، وعربون إخلاصه، وأن يُقدّم حياته فرحاً بيوم لقائها وساعة وصالها.

والمسلمون كلُّهم -إذا ساررتهم- مؤمنون بالجنة... ولكن أين الذائبون فيها؟ والملهوفون عليها؟ أين منهم مَن أضناه البعاد، وأسهدَهُ طول الانتظار...؟ وأين من يظميءُ نهاره، ويُسهر ليله من أجل رضى الله الذي بيد رحمته مفاتيح الجنان..؟

والمسلمون كلُّهم -إذا خاطبتهم- مؤمنون بالنار، ولكن أين الخائفون المرتعبون منها؟ أين الذين ترتعد فرائصهم من هول عذابها؟ وأين الذين يحسّون وكأنهم مواقعوها بين لحظة وأخرى؟ فيسألون الله النجاةَ منها، والخلاص من سعيرها بما يرضاه الله من تقواهم وصالح أعمالهم..؟

والمثنوي العربي النوري ،كتابٌ فريدٌ في موضوعه، لم يسبقه كتاب فيما

تناوله من أفكار، وعالجه من موضوعات. والراجح -عند المعنيين بالقضايا الايمانية- أنه فيما إستهدف الخوضَ فيه من «غيبيات الايمان» قد أوفى واستوفى، حتى إنه ليغني عن كل كتاب آخر في الموضوع نفسه عدا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. . ولا كتاب -على الأطلاق- يُغني عنه عداهما أيضاً.

ولم يوفق مؤلف كما وفق «النورسي» رحمه الله في «مثنويه» أولاً وفي «رسائل النور» من بعده، في تجلية الحقائق الايمانية أمام الأبصار (كالحشر، والآخرة، والجنة، والنار، والثواب، والعقاب، والخلود) وفي البرهنة المنطقية على حتمية وقوعها كما أخبرت به الأديان، فجسَّم ما تشاحب منها في خيال المؤمنين، وعمّق حدود ما تباهت منها في أذهانهم، وقرّب ما بَعُدَ منها عن عقولهم، وأحضر ما غاب، وكشف ما خفي عن الألباب، حتى ليكاد أحدنا يلمس بيده حقائق الغيب، ويبصرها حاضرة ماثلة قائمة في نفسه، وفيما حوله من مشاهد الكون والحياة.

والشفافية التى ينظر «النورسي» من خلالها الى هذه «الدنيا» بأرضها وسمائها، وكائناتها وموجوداتها، تحوّل كل شيء فيها الى «رمز» يوميء ويشير الى معنىً من معاني «الآخرة» وحقيقة من حقائقها.

ولم أعرف مؤلفاً استخدم ما يعايشه الانسان -في حياته- وما يلمسه ويحسه، ويسره ويحزنه، من أمور ووقائع وأحداث في تجلية ما يغمض على الأذهان، وما يبعد عن التصور، وما يندّ عن الخيال، من حقائق «الآخرة» كما فعل «النورسي» رحمه الله في كل ما كتب. وهو لبراعته في استخدام «الرمز» وقدرته الفذّة على الربط بين «الرمز» المحسوس، وما يماثله ويشبهه من غيبيات الآخرة، يُشعر القاريء -وهو يقرأ كتاباته- وكأنَّ جوّاً أخروياً بأنواره ولطافته يَغشى روحه، ويغمر كيانَه، وأنه يتنسم أنسام الآخرة، ويستنشق أنفاسها، ويكرع من مسّراتها، وهو بَعْدُ في مكانه من الدنيا.

والنورسي -بنزعته الموسوعية، ونظرتة الشمولية التى كانت طابعَ

حياته الفكرية والروحية منذ تفتُّح وعيه على الحياة -شغوف بالقراءة والدرس والتفحص والتأمل، يقرأ في علم النفس، ويدرس الفلسفة، ويهتم بفسلجة الانسان التشريحية، ويلم إلمام المتخصصين بالرياضيات والفيزياء والكيمياء، وبعلمي الحيوان والنبات. ويتأمل في العلوم الفلكية ويرصد النجوم من مرصد فلكي في مدينة (وان) كان قد استقدمه من «أوروبا» أحد ولاة المدينة، ويطلع على أحدث نتاجات الفكر الأوروبي المترجمة الى التركية من قبل بعض المرموقين من المثقفين الأتراك...

وبعد ذلك كله يستخدم ما أفاده من هذه العلوم والمعارف في خدمة «الايمان»: القضية الكبرى التى كرّس لها حياته، وأوقف عليها وجوده.

ولما كانت الموجودات في هذه الدنيا -كما ينظر اليها النورسي- هي أمثلة مصغرة لوجود أخروي كبير، وأطيافَ خيالٍ لحقيقة أخروية أعظم، وأشباحاً باهتة لرؤى فكرٍ أخروي غايةٍ في السعة والشمول والدقة والعظمة... لذا فإن كل «موجود» هنا في عالمنا الصغير هذا موصول بما يناظره هناك، وكل معنىً هنا مرتبط بمعنى أسمى واعظم هناك؛ فالدنيا مرتبطة بالآخرة، وحبُّ البقاء والكمال عند الأنسان هنا يؤكد معنى الخلود والبقاء والكمال هناك، والصُّورُ الذي ينفخ فيه الربيع ليبعث من الأجداث مئات الألوف من أنواع النبات والحيوان والحشرات كلَّ سنة، إيماءة واضحة لصُور أكبر، وحشر أعظم يومَ القيامة، والحافظة في مخ الأنسان وهي بحجم حبَّةِ خردل، والتي تحتفظ بشريط مسجل لماضي الانسان وما وقع له من أحداث... هي مثال مصغر لحافظة أخروية أوسع واكبر تحفظ سجلاً كاملاً لتأريخ حياة الانسان على هذه الأرض، ليعرض عليه في الآخرة عند مناقشته الحساب.

وهذا غيض من فيض من الأمثلة والمقايسات التى هي من أروع التفاتات صاحب هذا الكتاب، وسيطلع عليها القارىء الكريم أولاً بأول وهو يمضي قدماً في قراءته...

وخواطر «النورسي» في «مثنويه» إنما هي تفجرات فكر ملتهب، ونفثات روح متأجج بنيران المعارف وأنوارها وإشراقات قلب ينهل من «شمس الأزل والأبد».

وكل كلمة قالها أو خطها أو أملاها على تلامذته إنما هي «حقيقة» بعيدة المنال، خاض اليها الأهوال، وقطع الفيافي والقفار، وعَبرَ اليها بحوراً من حجب النفس والوجدان، وقاسى من أجل إقتناصها أشدّ المقاساة، قبل أن تتجلّى في سماء ذهنه مجلوة مشرقة مبرأة من ظلال الشك وسحائب الوهم، كالشمس الساطعة في ضحى يوم صائف.

وليس «النورسي» صاحب قلم بارد يغمسه في مداد فكر بارد، ليكتب ما يشاء وقتما يشاء... إنما هو «المعاناة» الجريحة المدماة التي تنزف فكراً فيه حرارة الروح، ودفء القلب.. وإنما هو السحابة المثقلة بماء الحياة والتي لا يدري أحدٌ متى تبرق وترعد وتغيث... وإن شئت فاستمع اليه حيث يقول في وصف حاله عندما كتب «مثنويه».

(... والكلمات إنما تولدت إثرَ جدال هائل ونقاش عظيم مع الفكر وسطَ إعصار تتصارع فيه الأنوار مع النيران، فأُحِسُّ برأسي يتدحرج في آن واحد من الأوج الى الحضيض ثم يرتفع من الحضيض الى الأوج، ومن الثرى الى الثريا، إذ سلكت طريقاً غير مسلوك، في برزخ بين العقل والقلب، ودار عقلي من دهشة السقوط والصعود، فكلما صادفتُ نوراً نصبت عليه علامة لأتذكره بها وكثيراً ما أضع كلمة على ما لا يمكن التعبير عنه للأخطار والتذكير، لا للدلالة، فكثيراً ما نصبت كلمة واحدة على نور عظيم...).

والنورسي -رحمه الله- متأثر الى حد بعيد بـ «المثنوي» الشهير لمولانا جلال الدين الرومي: شاعر الصوفية الأكبر، وهو يستشهد ببعض أبيات من شعره في أماكن مختلفة من «مثنويه» ومن رسائل النور من بعده، وقد حذا حذوه وسلك سبيله في تسجيل أفكاره وخواطره نثراً لأنها -فيما يبدو-

أوسع من أن يقيدها النظم، واكبر من أن تسعها الأبيات والقوافي، مع التركيز على هموم «الايمان» في عصره من دون العصور السالفة.

ولئن كان الرومي قد نظم «المثنوي» بالفارسية؛ فقد كتب «النورسي» مثنويه بالعربية وأسماه «المثنوي العربي النوري» تيمناً بالاسم أولاً، وتمييزاً له عن «مثنوي» الرومي ثانياً.

ومن الغريب أن يضع «النورسي» مقدمة كتابه «بالتركية» وقد ترجمها الى العربية أخوه «الملا عبدالمجيد» الذي أشرف على طبع كتابه بعد وفاته. وهو يقول في هذه المقدمة واصفاً التطور الروحي العظيم الذي حصل له والذي هيأه لكتابة «المثنوي»:

«إن السعيد -يقصد نفسه- في سياحته، وسلوكه ذلك السلوك في تلك المقامات كان ساعياً بالقلب تحت نظارة العقل، وبالعقل في حماية القلب، كالأمام الغزالي والأمام الرباني ومولانا جلال الدين الرومي.. فخلّص نفسه من الوساوس والأوهام، وبخلاصه منها مات ومضى «السعيد الأول»، وولد محله «السعيد الثاني»، فألف بالعربية «المثنوي» وهو أدق الوجوه وأرقها وأقصرها وأحسنها وأشبهها بالمثنوي الشريف، وكأنّ «المثنوي» قد تثنّى ونوّر هذا الزمان وعلّم أهله سبل مجاهدة النفس والشيطان، وسعى لأنقاذ المتحيرين من علماء الماديات وفلاسفتها، وهدايتهم الى ساحل الهدى والأمان، وأضاء الطريق لذوي الطريقة التابعة للسُّنة السنية وأرشد الى الحقيقة أرباب العلم والعرفان...

لكل عصر مرشدٌ يسمو به
وهو لباقي العصر ذاك المرشدُ»

وينبغي أن أشير هنا الى أن الكتاب مطبوع، ورغم أنه ألف بالأساس بالعربية إلاّ أنه -للأسف الشديد- غير معروف بين المثقفين العرب كما هو معروف ومتداول عند الأتراك. والنسخة التي بين يدي لا تذكر شيئاً عن إسم المطبعة التي طبع فيها الكتاب ولا عن السنة التي طبع

فيها.

ولم أعرف كتاباً سيء الطباعة، يختلط حابله بنابله مثل هذا الكتاب، فالعبارات والجمل يتداخل بعضها في صلب بعض، من دون نقط تشير الى إنتهاء الجملة، أو فواصل الى آخر ما يحتاجه القاريء من رموز ليتوضح أمامه المراد من العبارة أو الجملة.

وقد عانيت من هذا الخلط الشيء الكثير؛ فكنتُ أقف عند العبارة الواحدة ما شاء الله أن أقف قبل أن تنفتح مغاليقها وتنكشف غوامضها فإذا إستقامت معنىً ولفظاً أثبتها وعالجت غيرها مما يلي من عبارات وجمل.

أضف الى ذلك كله ما يمتليء به من أخطاء نحوية، هي -في الغالب- جريرةٌ أخرى من جرائر المطبعة على الكتاب وصاحبه، وقد عالجت تصحيحها وأرجو الّا يكون قد فاتني شيء منها... وقد يكون كل هذا سبباً من أسباب عزوف النقاد العرب عن التعريف بالكتاب وإعطائه ما يستحقه من الثناء والتقدير.

والكتاب -بعد هذا- سردٌ طويل متداخل الأفكار والخواطر -وكأنَّ الكاتب يكتب لنفسه- ولم يفصل بين هذه الخواطر بفاصلة، علماً بأن كل خاطرة أو فكرة إنما هي موضوع مستقل بذاته، ولم يستعمل للفاصلة بين فكرة وفكرة إلّا كلمة «إعلم» التى تأتي عادة في أول كل خاطرة. رغم أن الخاطرة الواحدة قد تحتوي على عدّة خواطر أخرى.

وقد رأيت أن أفصل الخواطر واحدة عن الأخرى، وأن أضع لكل خاطرة عنواناً يشير الى ما تتضمنه من أفكار ومعانٍ، وأن أعطيها رقماً.

واخترت من «المثنوي العربي النوري» هذه المختارات التي بين يدي القارىء. وتوخيت المفهوم والواضح، وتركت الغامض الذي يستعصي فهمه إلّا على أهل الأختصاص الذين هم من طبقة «النورسي» نفسه. واكتفيت بالفكرة الواحدة. وأغفلت ما يقرب منها في المعنى أو يشبهها في القصد والغاية.

وآمل أن يستمتع القارىء العربي بهذه المختارات بهذا الثوب الجديد، فهي -بلا شك- متعة للمثقفين على إختلاف ثقافاتهم ومشاربهم. وهي كذلك زادٌ -وأيّ زاد- للمؤمنين السالكين الى الله.

وفي الختام أرجو الله تعالى أن يتقبل منا هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم. آمين والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين.

الموصل/ أديب ابراهيم الدباغ

مختارات
من
المثنوي العربي النوري
لمؤلفه
بديع الزمان
سعيد النورسي

الترجمة العربية
لمقدمة المثنوي التركية

ترجمة
الملا عبدالمجيد «شقيق النورسى»

النقطة الاولى:

إن السعيد الأول -يقصد نفسه- كان فيما مضى من الزمن، لزيادة إشتغاله بالفلسفة والعلوم العقلية، ما زال يتحرى مسلكاً ومدخلاً للوصول الى حقيقة الحقائق، داخلاً في عداد الجامعين بين الطريقة والحقيقة. . .

وكان لا يقنع ولا يكتفي بالحركة القلبية وحدها، كأكثر أهل الطريقة، وقد جهد كل الجهد أولاً لأنقاذ عقله وفكره من بعض الأسقام التي أورثتها إيّاه مداومة النظر في كتب الفلاسفة والمناطقة، ثم أراد بعد أن تخلص من هذه الأسقام أن يقتدي ببعض عظماء أهل الحقيقة، المتوجهين الى الحقيقة بالعقل والقلب، فرأى أن لكلٍ من أولئك العظماء خاصيةً جاذبة خاصة به فتشوش عليه الأمر في ترجيح بعضهم على بعض.

فتخطر على قلبه بعدما تصور ما في «مكتوبات الأمام الرباني» من أمره له غيباً: «وَحِّدْ القبلة»، أن الأستاذ الحقيقي إنما هو القرآن ليس إلّا، وان توحيد القبلة إنما يمكن بأستاذية القرآن فقط، فارشده ذلك الأستاذ القدسي الى السلوك بروحه وقلبه على أغرب وجه، وإلى مجاهدة «النفس الأمارة» بسلاحي العلم والترويض، وإلى دفع شكوكها وشبهاتها.

وخلال معاناته في دفع تلك الشكوك، قطع المقامات، وطالع ما فيها، لا كما يفعله أهل الاستغراق مع غض الأبصار، بل كما فعله الأمام

الغزالي والامام الرباني وجلال الدين الرومي مع فتح أبصار القلب والروح والعقل، فسار فيها -أي المقامات- ورأى ما فيها بتلك الأبصار كلها، منفتحةً من غير غضٍ ولا غمض.

فحمداً لله على أن وُفّق على جمع الطريقة مع الحقيقة بفيض القرآن وارشاده..

النقطة الثانية:

إن السعيد -يقصد نفسه- في سياحته وسلوكه ذلك السلوك في تلك المقامات كان ساعياً بالقلب تحت نظارة العقل، وبالعقل في حماية القلب كالامام الغزالي والامام الرباني ومولانا جلال الدين الرومي. فخلص نفسه من الوساوس والأوهام، وبخلاصه منها مات ومضى السعيد الأول، وولد محله السعيد الثاني، فألف بالعربية «المثنوي» وهو أدق الوجوه وأرقها وأقصرها وأحسنها وأشبهها بالمثنوي الشريف، وكأنَّ «المثنوي قد تثنّى» ونوّر هذا الزمان وعلّم أهله سبل مجاهدة النفس والشيطان، وسعى لأنقاذ المتحيرين من علماء الماديات وفلاسفتها وهدايتهم الى ساحل الهدى والأمان، وأضاء الطريق لذوي الطريقة التابعة للسنة السنية وأرشد الى الحقيقة أرباب العلم والعرفان.

لكل عصر مرشد يسمو به
وهو لباقي العصر ذاك المرشدُ

النقطة الثالثة:

إن المناظرة الجارية بين ذينك السعيدين -السعيد الأول والسعيد الثاني- كانت دافعة للشيطان، قاهرةً للنفس، حتى غدت طبيباً حاذقاً لذوي الجراحات من طلاب الحقيقة، وأصبحت ملزمة ومسكتة لأهل الألحاد والضلالة.

فتبين أن هذا المثنوي العربي كان نواةً لرسائل النور، وغرساً لها يخلص الناسَ من شبهات الشياطين من الأنس والجن.. ولا يخفى أن

تلك المعلومات في حكم المشهودات وأن يقين العلم كعين اليقين، يورث القناعة ويوجب الأطمئنان التام..

النقطة الرابعة:

إن أول «السعيدين» كان اشتغاله بعلمي الحكمة والحقيقة قد استغرق اكثر أوقاته، وكان يناظر ويناقش عظماء العلماء في أدق المسائل بأسلوب يراعي فيه درجة الأفهام والعقول التى يناقشها.

وكان في ترقياته الفكرية وسنوحاته القلبية، يشير الى تلك الطلوعات والفيوضات بأدق العبارات وأقصر الجمل التي لا يفهمها إلّا هو (والراسخون في العلم) يظهرون العجز عن إدراكها فلو كانت تلك السنوحات مبيّنة بعبارات سهلة مفصلة وموضحة بايضاح يقربها الى الأفهام لكان ذلك (المجموع العربي المثنوي) معيناً تاماً لرسائل النور ومعاوناً لها في وظيفتها.

فتبين -فيما بعد- أن «المثنوي العربي» هو كالطرق الخفية والمسالك النورانية، التى تسعى في تطهير الأنفس من الداخل، فاتحة طرق الروح والقلب.

بينما «رسائل النور» هي كالطرق الجهرية الظاهرة تنظر الى الآفاق الكونية، والأنسانية، وكلاهما يوصلان الى معرفة الله.. كما قيل:

عباراتنا شتّى وحُسْنُك واحدٌ
وكلٌّ الى ذاك الجمال يشيرُ

وكذا فإن «رسائل النور» ليس مسلكها مسلك العلماء والحكماء بل هو مسلك مقتبس من «إعجاز القرآن» يُخرج زلالَ معرفة الله عن كل شيء؛ فيستفيد السالك في «رسائل النور» في لحظة ما لا يستفيده سالكو سائر المسالك في سنة.

وذلك سرٌّ من أسرار القرآن يعطيه الله من يشاء من العباد ويدفع به هجوم أهل العناد....

النقطة الخامسة:

إنك ترى «المثنوي» أعني تلك المجموعة العربية من المسائل والحقائق الدقيقة التي من شأنها أن يكون كل منها موضوعاً لرسالة.. قد ذكرت ضمن ألفاظ ضيقة لا تسعها، وفي سطور عديدة لا تستوعبها، وأفردتُ تلك المسائل التي كل منها موضوع لرسالة، ومشير الى حقائق متخالفة بعضها عن بعض بكثير من «الأعلامات»[1] ولا تظنَّ أن المسائل التي ذكرت في أوائلها تلك «الاعلامات» كلها من فن واحد، أو عائد الى مقام واحد، أو كاشف عن جواهر صدفٍ واحد، قائلاً في نفسك: إن ذكر تلك «الاعلامات» وتكرارها في رؤوس هذه المسائل مما لا فائدة له ولا طائل تحته، لأن كلاً من تلك الاعلامات عنوان وفهرس، وتلك الرسائل المكتوبة والمعنونة بالاعلامات للأشارة الى ما بينها من المغايرة[2]

---

(١) يعني: إعلم. إعلم.

(٢) قد ترجم المترجم مقدمة هذا (المثنوي) قرب قبر صاحب «المثنوي الأول» -جلال الدين الرومي في مدينة قونية في تركية، وهذا ليس من التصادف بل إشارة وحكمة لا أقتدر أن أعبر عنها...

تنبيه . . . !

إعلم :

إن هذه الرسالة -يعني المثنوي- نوع تفسير شهودي لبعض الآيات القرآنية : وما فيها من المسائل أزاهير أُقتطفت من جنّات الفرقان الحكيم، فلا يُوحشك ما في عبارتها من الإشكال والاجمال والايجاز.

فكرّر مطالعتها . . حتى ينفتح لك سرُّ تكرار القرآن، أمثال : (له ملك السموات والأرض) .

ولا تَخَفْ من تمرد النفس؛ لأن نفسي الأمّارة المتمردة المتحيّرة إنقادت وذَلّت تحت سطوة ما في هذه الرسالة من الحقائق، بل شيطاني الرجيم أُفحم وانخنس . . .

كن مَنْ شئت، فلا نفسُك أطغى وأعصى من نفسي، ولا شيطانك أغوى وأشقى من شيطاني .

سعيد النُورْسى

٠١ النيّة

إعلم: أن النيّة واحدة من الكلمات الأربع التى ذكرتُ في المقدمة؛ أنها محصولة أربعين سنة من عمري!

نعم! إن النية إكسير عجيب، تقلب بخاصيتها العادات الترابيةَ والحركاتِ الرملية، الى جوهر العبادة، وكذا هي روحٌ نافذ تحيا به الحالات الميتة، فتصير عبادات حيوية.

وكذا فيها خاصية قلب السيئات الى حسنات.

فالنيّة روح، وروحها: «الأخلاص».. فلا خلاص إلاّ بالاخلاص!

ويمكن بالنيّة -بسبب هذه الخاصية- عمل كثير في زمان قليل، فيمكن إشتراء الجنّة بما يُعمل في هذا العمر القليل بهمة تلك الخاصية.

وبالنيّة يصير المرء شاكراً دائماً، لأن ما في الدنيا من اللذائذ والنعم يقتطف بوجهين:

الوجه الأول: يقول المرء بسبب النيّة: هذه النعمة مَدَّتْها إليَّ يدُ رحيمٍ محسن، فينتقل نظرهُ من النعمة الى الإنعام، فيتلذذ «بالانعام» أزيد من تلذذه بالنعمة نفسها.

والوجه الثاني: يتحرى اللذة بهوى نفسه، فلا يخطرُ «الانعام» على باله، وإنما ينحصر نظره، على النعمة واللذة، فيتلقى اللذة وكأنها غنيمة، فيقطفها بلا مِنّةٍ، بل كأنه يغتصبها إغتصاباً.

ففي الوجه الأول: تموت اللذة بالزوال ويبقى روحها؛ كلّما قلت: إن رحمة «المنعم» تذكرني دائماً ولن تنساني أبداً. فهذا التخطر رابطة ومناسبة باقية مع «المنعم» في الخاطر!

ومن الوجه الثاني: لا تموت اللذة الموقتة ليبقى روحها بل تنطفىء ويبقى دخانها. ودخان اللذة زوالها وإثمها.

وإذا نظر الأنسان بنور الأيمان الى اللذائذ المشروعة في الدنيا، والنعم في الآخرة، يرى فيها حركة دورية ووضعية تتعاقب فيها الأمثال، فلا تنطفىء «الماهية» وإنما يحصل الفراق والأفتراق عن التشخصات الجزئية، فلهذا لا تُنغَّص بألم الزوال والفراق اللذائذُ الايمانيةُ بخلاف الوجه الثاني. وإن لكل لذةٍ زوالاً، وزوالها ألم، بل تصور الزوال أيضاً ألم، إذ في الوجه الثاني ليستْ الحركة دورية بل حركة مستقيمة، ففيها اللذة محكومة بالموت الأبدي...

٠٢ غاية حياتك أيها الانسان

إعلم: أن الفاطر الحكيم إنما ركّب في وجودك هذه الحواس والحسيّات، وزودك بأجهزة التذوق؛ لتحسّ أنواع نعمه، ولتذوق فيوضات تجليات أسمائه. فغاية حياتك، وحقها عليك، إظهار آثار تجليات أسمائه، وإشهار غرائبها لدى أنظار المخلوقات. وما إنسانيتك إلّا باحترامك لهذه الوظيفة، وما اسلاميتك إلّا باذعانك لمستلزماتها وغاياتها.

فوجودك وتوابعه له وجهان:

فبالوجه الناظر الى الحق سبحانه له قيمة عالية غالية.

وبالوجه الناظر الى الخلق لا قيمة له لفنائه وزواله...

إذا الوجه الأول يقول لك:

إنك صنعة لطيفة، وأثر نظيف نزيه لمن فطر السموات والأرض... فحسبك من الوجود وكماله ولذته وقيمته علمك بأنك صنعة للصانع الذي زين السماء بهذه النجوم والشموس حتى صرت أخاً عزيزاً صغيراً لهذا العالم الذي يخدمك كما يخدمك أخوك الكبير...

والوجه الثاني يقول لك نادباً:

إنك مجموع عناصر ترافقت باتفاقية عمياء، وعن قريب تتفرق وتتبدد في يأس مرعب أليم...

فلا تظلم وجودك بهذا «التملك» الموهوم، ولا تبخس حقه بقطعه عن «الحق» المالك الحقيقي، لأن قطعه عن المالك الحقيقي يزري به ويفقده قيمته فلا يقام له وزن... إذ قيمة ملايين من السنين، والآف القناطير من هذا الوُجودُ الأبتر المكفهر، لا يساوي في قيمته ذرّة من الوجود الحقيقي، ولا لحظة من سيّال ذلك الوجود الطاهر المطهر... ألا ترى أنك ما اقتطعك بارئك إقتطاعاً من مواد حاضرة، ولا أخذك أخذاً من حنايا الكون، ولا اغترفك إغترافاً من بحر الوجود كيفما إتفق... هل ترى في سوق عالم الكون والفساد دكاناً تشترى منه العيون... أو مخزناً إدخرت فيه الأدمغة والألسنة... أوماكنة تصنع القلوب وتنسج الجلود.. كلاّ ثم كلا... بل أنشأك بارئك واخترعك فاطرك بصورة بديعة جامعة وخلقك من شيءٍ كـ«لاشيء»... أو من كل شيء... حتى لا يطمع شيء من الأشياء ولو أعظم الأشياء الممكنة في خلق شيء من الأشياء ولو اصغر الاشياء.. وحتى لايتطاول الى دعوى خلق ذبابة مثلاً مَنْ لايقتدر على خلق السموات والأرض. فَمَنْ لايقتدر على خلق كل شيء لايقتدر على خلق شيء ما من الأشياء..

٠٣ الموازين

إعلم: أنه ما من مصنوع إلاّ وهو منظوم، وما من مخلوق إلاّ وهو موزون، قد أنشأه بارئه صحيحاً صريحاً، وأنطقه فاطره واضحاً فصيحاً. وإن ما يُرى في أشياء الدنيا وأثاثها.. هذا البيت الصغير الفاني من التنظيم المحسوب، والتكوين الموزون بموازين حسّاسة؛ والمقاسة بمقاييس جسّاسة، يرمز بل يفصح عن عظمة «الحساب» في «الحشر» وتحقق وجوده فيه، وإلى هيبة «الميزان» في عرصات يوم القيامة.

إذا ما يشاهد هنا في «الدنيا» ما هو إلاّ بذور وأساسات ومبادٍ ومبشرات وشواهد، وعلامات لما سيتسنبل في الآخرة.

٠٤ العدد

إعلم: أن من آياته تعالى «أحصى كل شيء عدداً»: التساوي والتوازن والانتظام بين أعداد «المتجاورات والمتقابلات والمتشابهات» كالأصابع في الأيادي والحبّات في السنابل، والنُّوى في الثمرات، والأوراق في الأزهار. . .

فسبحان من أحصى كل شيء عدداً، وأحاط بكل شيء علماً.

٠٥ من اسرار التكرار في القرآن

إعلم: أن ما اقتضى تكرار بعض أجزاء من القرآن هو ما يقتضي تكرار الأذكار والأدعية، إذ القرآن كما أنه كتاب حقيقة وشريعة، وكتاب معرفة وحكمة، كذلك هو كتاب ذكر ودعاء ودعوة. .

والذكر يردد

والدعاء يكرر

والدعوة تؤكد

٠٦ لطيفة إنسانية

إعلم: أن همّة الأولياء ومددهم وأفاعيلهم المعنوية. . نوعٌ من الدعاء: حالي أو فعلي، والهادي هو الله وهو المغيث والمعين.

وقد لمع في نفسي خاطر لم يتشخص بعدُ واضحاً وهو:

أن في الأنسان لطيفة وحالة، إذا دعا الانسان -ولو كان فاسقاً- بلسانها أُسْتُجيب له قطعاً.

نعم هي لطيفة إذا أقسمتْ على الله أبرَّها!

٠٧ قطرات النعم

إعلم: أنه كم من نعمة كقطرة معصورة بنظام رقيق وميزان دقيق من

كل الكون.. كالثمرة من الشجرة. فأن كانت معصورةً محلوبةً من ضرع الحقيقة مع غاية بعدها... فما المنعم الحق إلاّ مَنْ في قبضته كل الكون، يعصره كيف يشاء، والذي خزائنه بين «الكاف والنون». فما نعمة إلاّ من الذي صيّر «كن» مصدر الكون، وما المنة والشكر إلاّ له سبحانه.

٠٨ التراب!

إعلم: أن مما أُفيض على قلبي من فيض القرآن؛ كثرة ذكره «إحياء الأرض» ولفت أنظار البشر الى «التراب».. أن الأرض قلب العالم، والتراب قلب الأرض. وأن أقرب «السبل» الى المقصود يذهب في التراب، من باب التواضع والمحوية والفناء. بل هو أقرب من أعلى السموات الى خالق السموات. إذ لا يُرى في الكائنات شيء يساوي التراب في تجلي «الربوبية» عليه، وفعالية القدرة فيه، وظهور الخلاّقية منه، والمظهرية لجلوات أسمي: «الحيّ القيّوم».

وهكذا... فكما أن «عرش الرحمة» على الماء، كذلك إن «عرش الحياة والاحياء» على التراب، والتراب أجمع المرايا وأتمُّها. إذ مرآة الكثيف كلما كانت ألطف وأشف، تريك صورة الكثيف أوضح وأظهر وأتمَّ.. لكن مرآة اللطيف النوراني كلما كانت أكثف، كان التجلّي عليها بالأسماء أتمَّ. ألا ترى الهواء لا يأخذ من فيض الشمس إلاّ ضياء ضعيفاً. والماء وإن أراك الشمس بضيائها لكنه لا يقدر على فصل ألوانه. مع أن التراب يريك بأزاهيره مفصّل كل ما إندمج في ضيائها من الألوان السبعة ومركباتها. مع أن هذه الشمس قطرة متلمعة كثيفة بالنسبة الى نور شمس الأزل. وتزينُ التراب وتبرجُه في الربيع بما لا يحد ولا يعد من لطيفات الأزاهير، وجميلات الحيوانات المنادية على كمال ربوبيته.. شاهد مشهود.

فسبحان من يتعرف إلينا بلطيف صنعه، ويعرّف الخلائقَ قدرته

بعجائب تصرفه في التراب.

ومما يرمز الى هذا السر الحديث الشريف: «أقربُ ما يكون العبد من ربه وهو ساجد».. فإذا كان هذا هكذا.. فلا تتوحش من التراب وذهابك فيه، ولا تندهش من القبر وسكونك فيه..

٠٩ القرآن والقلب

... ولقد شاهدتُ أنّ مشاهدة جمال القرآن تابعة لدرجة سلامة القلب وصحته، فمريض القلب لا يشاهد إلّا ما يُشوّه له مرضُه.

فأسلوب القرآن والقلب كلاهما مرآتان ينعكس كل واحد في الآخر.

٠١٠ الايمان والكفر

... ولأنَّ الايمان يشيع الأخوة بين المؤمن وبين كل شيء، لذا فلا يشتد الحرص والعداوة والحقد والوحشة في روح المؤمن، إذ -بروح الأخوة- يرى أعدى أعدائه نوعَ أخٍ له..

ولأنَّ الكفر يبني الحواجز والسدود بين الانسان والكائنات المحيطة به ويعمق الأنانية والاحساس بالغربة عن هذا العالم... يشتد في الكافر الحرص والعداوة والتزام النفس والاعتماد عليها.

ومن هذا السرّ غالبوا -أي الكفار- فغلبوا على دنياهم، ولأن الكافر يرى في الدنيا مكافأةَ حسناته في الجملة، والمؤمن يرى جزاء بعض سيئاته في الدنيا، صارت سجنَ المؤمن، وجنة الكافر..

٠١١ اكسير الايمان

إعلم: أن إكسير الايمان إذا دخل في القلب يُصير الأنسانَ جوهراً لائقاً للأبدية والجنة، وبالكفر يصير خزفاً خالياً فانياً. إذ الايمان يرى تحتَ القشر الفاني لُبّاً لطيفاً رصيناً، ويرى ما يُتوهم حُباباً مشمساً زائلاً في الأنسان، ماساً منوراً.

والكفر يرى القشر لُبّاً فيتصلّب فيه فقط. فتنزل درجة الأنسان من «الماس» الى الزجاج بل الى الجماد، بل الى الحُباب..

هكذا شاهدت.

١٢. المحبّة

إعلم: أن محبّة ما سواه تعالى على وجهين:

وجهٍ ينزل من علوٍ، أي يحبُّ الله فبحبّهِ يُحبُّ من يُحبُّهُ الله، فهذه المحبة لا تُنقصُ من محبةِ الله بل تزيدها.

والوجه الثاني: يَعْرُج من سُفْلٍ، أي يحب الوسائل، فيتدرج في محبتها ليتوسل الى محبة الله، فهذه المحبة تتفرق، وقد تصادف وسيلة قوية فتقطع عليها الطريق فتهلكها، وإن وصلتْ.. وصلتْ بنقصان.

١٣- السُنّة

إعلم: أنني شاهدْتُ في سيري في الظلمات، السُّننَ السنيَّةَ نجوماً ومصابيحَ، كلُّ سُنَّةٍ، وكل حدٍّ شرعي يتلمع بين ما لا يحصر من الطرق المظلمة المضلّة.

وبالانحراف عن السُّنة يصير المرءُ لعبة الشياطين، ومركب الأوهام، ومعرض الأهوال، ومطية أثقال أمثال الجبال، يمكن أن تحملها عنه السنة لو اتبعها.

وشاهدتُ السُّنن كالحبال المتدلية من السماء، من استمسك ولو بجزئي منها استصعد واستسعد، ورأيتُ مَنْ خالفها واعتمد على العقل الدائر بين الناس، كمن يريد أن يبلغ أسباب السموات بالوسائل الأرضية فيتحمق كما تحمّق فرعون بـ«ياهامان آبنِ لى صرحاً»

١٤. الدعاء

إعلم: أن الدُّعاء لا سيما من المضطرين، له تأثير عظيم يُسخَّر بسببه

أقوى الأشياء وأعظمها لأضعف الأشياء وأصغرها، كسكوت غضب البحر لأجل معصوم على لوح منكسر دعا بقلب منكسر، فيدل على أن المجيب يحكم على الكل فهو ربُّ الكل.

١٥ ـ جامعية القرآن

إعلم: إن جامعية القرآن وسعته ومراعاته لحسيّات طبقات المخاطبين ولا سيما: تنزلاته لتأنيس العوام الذين هم الأكثر المطلق من البشر، والمخاطَبون أولاً وبالذات... مع أن هذه «الجامعية» سبب لكماله، لكن النفس المريضة قد تضلّ بها، وذلك لكونها -في بعض الأحيان- تتحرى في أدنى طرز تفهيمه -المناسب لمقام الأكثرية المطلقة- أعلى وأرقى صور الأفادة. وتُصيّرُ -بجهلها- الأسلوب الذي هو ميزان ومرآة عاكسة لحسِّ المخاطب وفهمه - ميزاناً ومرصاداً تنظر منه الى «المتكلم» فتضل ضلالاً بعيداً.

١٦ ـ الذباب الاستاذ

إني رأيت نفسي مغرورةً بمحاسنها.

فقلت لها:

-ويلك، إنكِ لا تملكين- على الحقيقة -شيئاً...

فقالت:

-إذاً لا أهتمُّ بما ليس لي من البدنِ الساكنة فيه...

فقلت:

-لابدَّ ألاّ تكوني- في إهتمامك بنظافة بدنك- أقلَّ من الذباب! وإن شئتِ شاهداً فانظري الى هذا الذباب، كيف ينظف جناحيه برجليه، ويمسح عينيه ورأسه بيديه؟!

سبحان من ألهمه هذا، وصيّره أستاذاً لي أُفحمُ به نفسي..

٠١٧ إبل الطير «النعامة»

كثير من الضالين والجاحدين - حالاً أو مقالاً- يرفضون أن تسلكهم في زمرة «الضالين»، ويُسرون عندما تُدخلهم في جموع «المؤمنين الصالحين» ولكنهم يأبون أن يتزينوا بزينة الايمان والأسلام . .

فشأن هؤلاء شأن النعامة أو «إبل الطير» .

إذا قلت له :

-طِرْ الى سماء الايمان . .

قال لك :

-أنا جمل، وأنّى للجمل أن يطير . !

وإذا قلت له :

-إذاً إحملْ أثقال عنادك وجحودك وامضِ . . .

قال لك :

-أنا طائر وأنّى للطائر أن يُحمَّل بالأثقال!

٠١٨ الدعاء وسر التوحيد

إعلم : الدعاء انموذج لأسرار التوحيد والعبادة، إذ الداعي في نفسه خُفيةً لابدَّ أن يعتقد سماع المدعو لهواجس نفسه وقدرته على إجابة مطلبه . فيستلزم هذا الاعتقاد اعتقادَ أن المدعو عليمٌ بكل شيء، وقدير على كل شيء .

٠١٩ العجز معدن النداء

إعلم : أن العجز معدن النداء، وأن الأحتياج منبع الدعاء . فيا ربي ويا خالقي ويا مالكي :

حجتي عند ندائي حاجتي، وعدتي عند دعائي فاقتي، ووسيلتي إنقطاع حيلتي، وكنزي عجزي، ورأس مالي أملي، وشفيعي حبيبك

ورحمتك . . فاعف عني واغفر لي وارحمني يا الله ، يا رحمن ، يا رحيم .

٠٢٠ بذور الجنة وبذور جهنم

إعلم أني قد تيقنت كأني شاهدت بحدس قطعي ، أن جهنم مندمجة بالقوة في بذر الكفر كاندماج شجرة الحنظلة في نواتها . وأن الجنة مندمجة في حبّة الايمان كاندراج شجرة النخلة في نواتها ، فكما أنه لا غرابة في استحالة النواة وانقلابها الى شجرة الحنظلة ، وشجرة النخلة ، كذلك لا إستبعاد في تحول معنى الضلالة وتجسمه في جهنم تُعَذِّبُ ، ولا في تمثل أنوار الهداية جنة تُسْتَعْذَبُ .

٠٢١ الفرد والجماعة

اعلم : أنه من أشد ظلم البشر إعطاء ثمرات مساعي «الجماعة» الى «شخص واحد» وتوهم صدورها منه ، فيتولد من هذا الظلم شرك خفي . إذ توهم صدور محصل كسب «الجماعة» وأثر جزئهم الأختياري من «شخص» لا يمكن إلاّ بتصور ذلك الشخص ذا قدرة خارقة ترقتْ الى درجة «الايجاد» .

وما آلهة اليونان والوثنيين إلاّ ولادة أمثال هذه التصورات الظالمة الشيطانية . .

٠٢٢ دوائر الانسان

إعلم : أن الانسان كدوائر متداخلة متحدة المركز ، ففي دائرة لباسه جسمُهُ ، وفي أخرى بلدُهُ ، وفي أخرى وجه الأرض ، وفي أخرى «عالم الشهادة» .

وهكذا . . . لكنه لا فعلَ له ولا تأثيرَ له إلاّ في الدائرة الصغرى ، وفيما سواها من الدوائر عاجز مسكين ، منفعل وقابل لأخذ الفيض فقط ، ولو تفعّلَ -أي أراد أن يكون فاعلاً- ما فعل إلاّ تغيير صورة الفيض بالقصور

والنقصان اللذين هما من ألوان العدم . . .

٢٣ ٠ الوحدة والكثرة في الانسان

إعلم : أن الله خلق الانسان في تركيب عجيب، ووحدة في كثرة، وهو مركب فرد، وهو جماعة، أعضاء وحواس ولطائف، لكلٍّ في ذاته ألم ولذة، مع تألمه وتلذذه أيضاً بتلذذ الكلّ والآمه، بسرّ التعاون والأمداد فيما بينها جميعاً. فمن حكمة هذه الخلقة جعلُ الانسانِ مظهراً لأنواع اللذائذ، ولأقسام النعم، ولأصناف الكمالات، لا سيما في الآخرة إنْ سلك سبيلَ العبودية الحقة . . .

وكذا -بهذه الخلقة- جُعلَ محلاً لأنواع الآلام، ولأشكال من العذاب، ولأقسام من النقم، إنْ ضلَّ في طريق الهوى والأنانية . . . فألم وجع السن غيرُ ألمِ وجع الأذن، ولذة العين غير لذة اللسان، وللمس والخيال والعقل والقلب لذائذهَا والآمها أيضاً . . وهكذا .

٢٤ ٠ كلمة التوحيد

إعلم : أن تكرار «كلمة التوحيد» من الذاكر . . لتجريد القلب من أنواع العلاقات، وطبقات المعبودات الباطلة، ولأن في الذاكر أنواعاً من لطائف وطبقات من حواسٍ . . لكلٍّ توحيدٌ وتجريد من الشرك مناسب لها . . .

٢٥ ٠ الانسان هذا العالم العجيب

إعلم : أن ميادين فكر الأنسان، ومساير جولان همته، أوسع من أن يُحاط بها. فقد يجول في ذَرّة، ويسبح في قطرة، وينحبس في نقطة، مع أنه قد يضع العالمَ نصب عينيه، وقد تنزوي الكائنات في عقله، حتى يطمع لرؤ ية واجب الوجود ويسعى لمشاهدته. فمرّة يكون الأنسان أصغر من

ذرّة، ومرّة يصير اكبرَ من السموات، وهو في جميع احواله -الكبيرة والصغيرة- موصول النسب بفطرته التي فطره الله عليها. . .

٠٢٦ الاوائل والاواخر

إعلم: أن أواخر الأشياء ونهاياتها ليست بأقلَّ إنتظاماً وإتقاناً من أوائلها؛ ولا ظواهرها ولا صورها بأحسن صنعة وحكمة من بواطنها.

فلا تحسبنَّ أواخر الأشياء وبواطنها سدىً مهملةً تلعب بها يد التصادف. ألا ترى الثمرة مع الزهرة، إنها أظهر حكمة من الجرثوم النابت من النواة.

فالصانع جلَّ جلاله، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم. . .

٠٢٧ إعجاز القرآن

إعلم: أنّ إعجاز القرآن؛ حفظُ القرآن من التحريف. فلا يتيسر لكلام مفسر أو مؤلف أو مترجم أو محرف وغيرهم، أن يلتبس بالآيات، أو يلبسَ زيَّها كما التبستْ واختلطتْ سائر الكتب المنزلة حتى صارت محرفة.

٠٢٨ آلاءُ الله

إعلم: أنّ تكرار آية: «فبأي الاء ربكما تكذبان» في مقاطع الآيات التنزيلية المشيرة الى الآيات التكوينية المتنوعة المختلفة في سورة «الرحمن» يدل على أن اكثر عصيان الجن والأنس وأشدَّ طغيانهما، وأعظم كفرانهما، يتولد من عدم رؤية «الأنعام» في «النعمة»، والغفلة عن «المنعم»، وإسناد «النعم» إلى الأسباب والتصادفات، حتى يصيرا مكذبين بالآء الله.

فلا بدَّ للمؤمن أن يبسمل بَدْءَ كلِّ نعمةٍ تناله، قاصداً ببسملته أنَّ النعمة منه وأنه يأخذها بإسمه وبحسابه، لا بحساب الوسائل، فله الشكر والمنّة. . .

٠٢٩ العجز والقدرة

إعلمْ: أيها السعيد الشقي!

ما هذا الغرور والغفلة والاستعلاء الذي أنت فيه؟

ألا ترى أن ليس لك من الاختيار إلّا شعرة، وليس لك من الأقتدار إلّا ذرَّة، وليس لك من هذه الحياة سوى شعلة توشك على الانطفاء، وليس لك من العمر إلّا مثل دقيقة تنقضي، وليس لك من أحاسيس الشعور الحيّ إلّا كلمعة ما تلبث أن تزول، وليس لك من الزمان إلا ان يسيل ويمضي، وليس لك من المكان إلّا مقدار القبر!

ولكن لك من العجز ما لا يُحدّ، ومن الأحتياج ما لا يتناهى، ومن الفقر ما لا يحصى ومن الآمال ما لا غاية لها، وهكذا...

فمن كان بهذه الحالة من العجز، وفي هذه الدرجة من الحاجة، هل يتوكل على ما في يده، ويعتمد على نفسه.. أو يتوكل على الله الرحمن الرحيم الذي من ظروف خزائن رحمته، وصناديق نعمته، هذه الشموس، وهذه الأشجار المملوءة من الأنوار والأثمار، ومن موازيب حوض فيضه ومسيلات رحمته الماء والضياء.

٠٣٠ المعرفة

إعلم يا قلبي أنّ لذائذ الدنيا وزينتها بدون معرفة خالقنا ومالكنا ومولانا ولو كانت الجنة نفسها فإنها -بدون هذه المعرفة- جهنم. فمعرفتهُ -عزوجل- تغني عن كل ما في الدنيا من لذاذات وحتى لو كانت لذاذات الجنة نفسها.

هكذا ذقتُ وشاهدتُ!

٠٣١ المضيِّف والضيف

إعلم أنَّ الله تعالى أنعم عليك بالوجود، وأعطاك الحياة، فلك أن

تتصرف فيما أعطاك كما يرضى مَنْ أعطى، لا كما ترضى أنت، فليس للضيف أن يسرف أو يتصرف فيما لا إذن للمضيِّف فيه.

٠٣٢ القرآن في سورة

إعلم أن تضمين كلِّ سورة من القرآن مجمل ما في القرآن وسائر السور من القصص والمقاصد والغايات، لأجل ألاّ يحرمَ مَنْ يقرأُ سورة فقط من منافع ما أُنزِلَ له التنزيل، إذ في المكلفين الأميُّ والغبيُّ، ومَنْ لا يتيسر له إلاّ قراءة سورة قصيرة فقط، فمن هذه اللمعة الاعجازية تصير السورة قرآناً تاماً لمن قرأها...

٠٣٣ العصبية الجاهلية

إعلم أنَّ العصبية العنصرية الجاهلية، ما هي إلاّ غفلة النفس البشرية عن حقيقتها، وقد تصلبت هذه الغفلة، فجاءها الرياء والظلم والضلالة تعاونها وتشدُّ من أزرها...

وبذلك تتحول أسرة أو عشيرة أو قبيلة أو شعب أو أمة -تحت ظل العصبية- الى معبود يتعبَّدُهُ الأفراد..

وأمّا الحمية الاسلامية فهي النور المهتز المنعكس من ضياء الايمان!

٠٣٤ طلبات النفس

إعلمي -أيتها النفس المشؤمة- أنَّكِ تطلبين -وما أعجبَ ما تطلبين!- تطلبين كل شارات المراتب المختلفة في كل مرتبة ترقين اليها، ولذاذات كل الحواس مجموعة في لذة كل حس، وأذواق كل اللطائف في نفحة كل لطيفة، وشعاعات كل الأسماء الحسنى في شعاع كل إسم، وعظمة المؤثر خلف كل أثرٍ ومصنوع، وخواص المعنى الخارجي في المدلول الظلي، بل في الدَّال.

وهذا أمر لا تطيقينه.

فاطلبي -أيتها النفس- من كُلِّ ما يليق به وما يسعه، لئلاَّ تستهويك الأوهام...

٠٣٥ زوايا الرؤية في الانسان

واعلم أنه لابدَّ إذا رأيت نفسَك بعظمتها أن تنظر الى ما هو أعظم منك من السموات وغيرها، وإذا رأيت ما هو أصغر منك من الهوام والحشرات فانظر الى حجيرات جسدك وادخل مع نظرك في حجيرة منها، ثم امعن النظر حتى ترى البعوضة فما فوقها من حشرات اكبر منك؛ لئلا تسقط في عينك أهمية الحكمة والرحمة والنعمة واتقان الصنعة فيك.

وإذا رأيت الآخرين من البشر المماثلين لك في النِعم، فانظر الى احتياجك وعجز نفسك وحكمة النعمة لئلا تهون عندك قيمة نعمتك، نعم هل يخفف احتياجك الى العين وجود العين في عموم الحيوان، أم هل ينقص الشمول أثر القصد؟ كلاّ بل يشدّه ويزيده...

٠٣٦ لطف المناسبة مع الله

فما ألطف مناسبة مَنْ لا يتناهى في فقره وعجزه، مع مَنْ لا نهاية لغناه وقدرته وعزته وعظمته... فسبحان مَن أدرجَ نهاية اللطف في نهاية العظمة، وغاية الرأفة في غاية الجبروت، وجمع نهاية القرب مع غاية البعد، وآخى بين الذرات والشموس، فأظهر قدرته بجمع الأضداد!...

فانظر كيف لا تشغله حشمة تدبير الأرض والسموات عن لطافة تربية الهوام والحشرات، ولا يعوقه تدبير البر والبحر عن إيجاد أصغر النحل والطير، وعن احياء صغار السمك في أعماق البحور...

٠٣٧ نور محمد صلى الله عليه وسلم

إعلم أنه بينما ترى العالم كتاباً كبيراً ترى نور «محمد» عليه الصلاة

والسلام مداد قلم الكاتب . . .

وبينما ترى العالم يلبس صورة الشجرة ترى نوره عليه الصلاة والسلام، نواتها أولاً وثمرتها ثانياً . . .

وبينما ترى العالم جسماً ترى نوره عليه الصلاة والسلام، روحه . . .

وبينما ترى العالم حديقة مزهرةً ترى نوره عليه الصلاة والسلام، عندليبه . . .

وبينما ترى العالم قصراً مزيناً عالياً تغمره شعاعات سلطنة سلطان الأزل وخوارق حشمته، ومحاسن تجليات جماله، ونقوش خوارق صنعته . . إذْ ترى نوره عليه الصلاة والسلام، نَظّاراً كشّافاً يرى لنفسه أولاً ثم ينادي :

يا أيها الناس تعالوا الى هذه المناظر النزيهة، وهلموا على مالكم فيها من روائع الجمال وآيات الحسن والكمال . .

ثم يتقدمهم مرشداً ويريها للناس ويشاهد ويشهد لهم . . يدهش ويثير دهشتهم . . يحب ويحبّب مالكه إليهم . . يستضيء ويضيء لهم . . يستفيض ويفيض عليهم . . .

٠٣٨ النواة والثمرة

إعلم : أن الانسانَ ثمرةُ شجرة الخِلقة . والثمرةُ تكون أكمل الأجزاء وأبعدها عن الجرثوم، وأجمعها لخصائص الكل . . . وهي التى من شأنها أن تبقى وتُسْتَبقى . . .

ومن الانسان مَنْ هو نواة أنبتَ القدير جلّ شأنه منها تلك الشجرة . . .

ثم صير الفاطر جلّ جلاله ذلك الانسان ثمرةَ تلك الشجرة . . .

ثم جعل «الرحمن» تلك الثمرة النورانية نواةً لشجرة الاسلام، وسراجاً لعالمه . . وشمساً لمنظومته . . .

وأنه لابدَّ في الثمرة من نواة تشتمل بالقوة على لوازم شجرةٍ مثل أصلها. وأصغرية «النواة» لا تنافي «أعظمية» الشجرة، كنواة شجرة التينة..

وإن في الانسان حبةً -لو كان الانسان ثمرة- لكانت تلك الحبة نواته ألا وهي القلب.

وعندما تأملت ورأيت هذا القلب -بدافع الاحتياج- مرتبطاً بعلاقات مع العوالم بكلياتها وجزئياتها، ووجدتُ حاجتَه وفقره أشدَّ الى جميع أنوار الأسماء الحسنى بتجلّي كل اسم الواحد تلوَ الآخر فيه... حتى كأنَّ له حاجات عدد أجزاء العالم.. وله أعداء ومخاوف مِلأَ الدنيا.. فما يطمئن إلّا بمَن يقتدر أن يغنيه عن كل شيء ويحفظه من كل شيء.

ورأيتُ فيه قابلية تَمَثُّل مجموع العالم كالخارطة والفهرس والانموذج والتمثال.. وأن المركز فيه لا يقبل إلّا الواحدَ الأحد ولا يرضى إلّا بالأبد والسرمد..

فهذه النواة -وهي حبة القلب- ماؤها الاسلام، وضياؤها الايمان، فإن إطمأنتْ تحت تراب العبودية والأخلاص، وسُقيت بالاسلام، وانتبهت بالأيمان، أنبتت شجرة نورانية مثالية من عالم «الأمر» هي روح لعالمه الجسماني، وإن لم تُسْقَ بقتْ نواةً يابسة منكمشة لائقة للأحراق بالنار الى أن تنقلب النارُ نوراً.

وكم في النواة من أعصاب رقيقة وأشياء دقيقة لا يُبَالى بها، وتُرَى أقلُّ من أن يُهتَّم بها، إلّا أنَّ لكل منها -إذا انكشفت النواة- وظيفةً مهمةً بحشمة وعظمةٍ... كذلك لحبَّة القلب خُدّام كامنون نائمون، إذا انتبهوا وانبسطوا بانتباه القلب ويقظته، يجولون في بساتين الكائنات كطيور سيارة، تمضي في إنبساطها وجولانها لدرجة النشوة بالوجود حتى ليقول المرء: الحمد لله على كل مصنوعاته، لانها كلها لي نِعَمٌ... وحتى أن «الافتراض، والخيال» وهما من اضعف خدام القلب وأهونهم، لهما وظيفة

عجيبة فيدخلان بصاحبهما المتوكل -وهو في السجن مقيد- في حديقة نزيهة، ويضعان رأس المصلي وهو يصلي في الشرق أو الغرب تحت «الحجر الأسود» فيودعه شهادتي صاحبه . . .

ومن المشهود أن «البيدر» يدور على رؤوس الأثمار، والثمرة هي التي تُنْتَقى وتُسْتَبْقى . . .

فكذلك بيدر «الحشر» ينتظر بني آدم . . .

٠٣٩ الراعى والشياه

إعلم -أيها الانسان- أنَّ مثلك وقد تصيب رأسَك المصائبُ المرماةُ بسهام «القدر» كمثل «الشياه» مرسلة في المرعى، يراها الراعي وقد تجاوزت الحِمى فيرمي الاحجار خلفها لترجع.

فتقول الشاة المصابة بحجر الراعي:

-نحن تحت أمر الراعي، وهو أعرفُ بنا مِنّا فلنرجع . . فترجع . .

وترجع الشياه جميعاً . .

فلا تكوني يا نفسي أضلَّ من الغنم!

وقولي عند المصيبة:

-«إنا لله وإنّا إليه راجعون» . .

٠٤٠ القلب مرآة الصمد

إعلم أن من الدليل على أن القلب ما خُلق للاشتغال بأمور الدنيا قصداً؛ أنه: إذا تعلق بشيء تعلَّق به بشدّةٍ، واهتمَّ به إهتماماً عظيماً، ويتطلبُ فيه أبديةً ودواماً . . . ويفنى فيه فناءً تاماً . . .

وإذا مدَّ يده، يَمُدُّ يداً تطيق أن تقبضَ على الصخور العظيمة وتَرْفَعَها، مع أنَّ ما يأخذه بتلك اليد من الدنيا، إنما هو تبنةٌ أو ريشةٌ أو شعرةٌ أو هباءٌ أو هواءٌ . . .

نعم القلب مرآة الصمد، فلا يقبلُ حجر الصنم بل ينكسرُ به.

والعاشق -للدنيا أولشيء من أشيائها- يرى ظلمَ معشوقه في الأكثر، بسرّ أن المعشوق بفطرته بلا شعور مستجيب، كما أنه لا يرضى ما ليس له بحق، ولا يرى نفسه أهلاً -وهو مخلوق- أن يسكن باطن قلب العاشق الذي هو مَحَلُّ الله الصمدِ وحده...

٠٤١ القرب والبعد

إعلم: أن (سبحان الله والحمد لله) يتضمنان التوصيف بصفات الله؛ الجلال بالأول... والجمال بالثاني.

(فسبحان الله) ينظر الى بُعْدِ العبد «والممكن»، عن الله «الواجب الوجود» العليّ العظيم.

(والحمد لله) ينظر الى قرب الله بالرحمة واللطف الى عبيده ومخلوقاته، فكما أن الشمس قريبة منك تصل حرارتها وضياؤها إليك، وتتصرف فيك بأذن خالقها، مع أنك بعيد منها لا تصل يدك اليها، وأنت بالنسبة إليها قابل فقط لا فاعل ولا مؤثر؛ كذلك (ولله المثل الأعلى) أن الله جلَّ جلاله قريب منا فنحمده، ونحن بعيدون عنه فنسبحه.

فاحمده وأنت تنظر الى قربه برحمته، وسبّحه وأنت تنظر الى بعدك بإمكانك، ولا تخلط بين المقامين، ولا تمزج بين النظرين لئلّا يتشوش عليك الحق والاستقامة. لكن يمكن لك بشرط عدم الألتباس والمزج أن تنظر الى القرب في جهة البعد.. والى وجه البعد في جهة القرب.. والى الوجهين معاً فتقول:

-(سبحان الله وبحمده).

٠٤٢ انت والدنيا

إعلم أنه لا يليق بك -إن كان لك عقل سليم- أن تهتمَّ وتغتمَّ

وتغضبَ وتصخب لما يأتيك أو يفوتك من أمور الدنيا، لأنَّ الدنيا تـزول ولاسيما دنياك، ولا سيما أنت. إذ لستَ بأبديّ هنا، ولست من حديد ولا شجر حتى يطول بقاؤك، بل أنت من لحم متجدد، ودم متردّد، وروابط وأعصاب في غاية الرقة، تتأثر بأدنى شيءٍ. وقد تنقطع تلك، وينجمد هذا، ويتفسخ ذلك باختلال ذرتين في جسمك، ولا سيما إذا تنفس فيك صبحُ المشيب وكفّن نصفَ رأسك وحلّتْ ضيفةً عليك، وتوطنتْ فيك العِللُ والأمراض التي هي طليعة الموت ومخالب هادم اللّذات، مع أنّ أمامك -لو تعقّلتَ- عمراً أبدياً ألقيته خلفكَ ظهرياً تترتب راحة هذا العمر على سعيك في هذه الدنيا، مع أنك في حرصك وشرهك كَمنْ هو خالد، أو قد خَلُدَتْ له الدنيا خاصة...

فانتبه قبل أن تنبهك سكرات الموت...

٠٤٣ حسبى الله ونعم الوكيل

إعلم: أنه من توّكلَ على الله فهو حسبه.. فَقُلْ: (حسبي الله ونعم الوكيل).

فأولاً: لأنه الكامل المطلق، والكمال محبوب لذاته وتُفدَّىٰ له الأرواحُ.

وثانياً: لأنه محبوب لذاته وهو المحبوب الحقيق بالمحبّةِ، والمحبّة تقتضي الفداء.

وثالثاً: لأنه الموجود الواجب.. وبقربه أنوار الوجود.. وبالبعد عنه ظلمات العَدَمَات، وفي الأعراض عنه ألمٌ أليم في أفول آمال الروح الانساني.

ورابعاً: لأنه الملجأ والمنجى للروح الذي ضاقتْ عليه الأكوان وآلمته مزخرفات الدنيا، وعَادَتهُ الكائنات، وأنقضَ ظهره الأحساس بالغربة واليُتم.

وخامساً: لأنه الباقي الذي به البقاء، وبدونه الزوال، وكلُّ العذاب

في الزوال، وبدونه يتراكم على الروح الآمُّ بعدد الموجودات، وبه -أي بالله- يتظاهر على المتوكل أنوارٌ بعددها. . .

وسادساً: لأنه المالك، يحملُ عنك مُلْكَهُ الذي عندك، إذ لا تطيق حمله. فبتوهم التملك تقع في عذاب أليم أليم.

فلبقائه -جلَّ شأنه- ودوامِ إنعامه لا تَغْتَمَّ بفناء ما في يدك، مثْلُكَ مَثَلَ الحُباباتِ المشْمِسَة التي لا تحزن بالتحول والانحلال، فلأظهار تجددات تجليات الشَمس يَفْدي الحُبابُ صورتَه فرحاً، بل يموت وهو يضحك. وكما لا تَغتمُّ الثمراتُ بفراق الشجرة، ولا النواة بانحلال الثمرة، ولا تحزن أنت بزوالها، إذ تقولون جميعاً بلسان الحال: فلتحي الشجرة، إذ في حياتها يُصبحُ موتُنا حياةً. . .

٠٤٤ في طريق الله

إعلم: أنّ المسافرَ كما يصادفُ في سيره منازلَ، لكلّ منزلٍ شرائطُ تَخُصُّهُ، كذلك للذاهب في طريق الله مقامات ومراتب، وحالاتٌ وحُجُبُ وأطوار، لكلّ واحدٍ طورٌ يَخُصُّه، مَنْ خَلَط غَلط. كمثل مَنْ نَزَلَ إسطبلاً في قرية سمع فيه صهيلَ الفرس، ثُمَّ في بلد نَزَلَ قصراً فسمع تَرَنُّمَ العندليب، فتوهَمَ الترنُّم صهيلاً، وأراد أن يستمع منه صهيل الفرس مغالطاً لنفسه.

٠٤٥ شمولية القرآن وموازينه

إعلم: أنَّ من عظيم علو «القرآن» وأصدقُ دليلٍ على حقّانيتِهِ، مُحَافَظَتُهُ على كلّ لوازمِ التوحيد بمراتبه، ومُراعاتُه لموازنةِ الحقائق الأٰلهية العالية، واشتمالُهُ على مقتضيات «الأسماء الحسنى» والمناسَبةُ بينها، وجَمْعُهُ لشؤون الربوبية والألوهية بكمال الموازنة.

وهذه خاصيّةٌ ما وُجِدَتْ قَطُّ في أثرِ بَشريّ، أو نتاج أعاظمِ النّاس من

الأولياء المارّينَ الى الملكوت، و«الأشراقيين» الذاهبين الى بواطن الأمور، و«الروحانيين» النّافذينَ الى عالم الغيب. فإنهم -جميعاً- عاجزون عن الاحاطة بالحقيقة المطلقة بأنظارهم المقيدة، بل هم يُشاهدون طرفاً منها فيتشبثون به وينحَبسون عليه، فيظلُّ سلوكُهم متأرجحاً بين الافراط والتفريط... فتَخْتَلُّ الموازنة، ويزول التناسب.

مَثَلُ هؤلاءِ كمثل غوّاصين في البحر قَصْدُهم كشفُ كنز في أعماقه، فكلُّ واحدٍ منهم قد أمْسَكَتْ يَدُهُ بجزءٍ من الكنز وهو يتوَّهم أنّه الكنز نَفْسُهُ، وكلُّ واحد يصفُ ما لامَسَتْ يدُهُ من الكنز دون الكنز كلِّه.

فهم في نقاشٍ صاخبٍ حول ماهية الكنز وصفته، وكلّ واحد يتوهم أن الحقيقة معه، فتختلُّ الموازنة ويزول التناسب، فيضطرون للتأويل والتصلّف حتى قد ينجرون الى الأنكار والتعطيل، ومَنْ تأمّل في آثار «الأشراقيين» و«المتصوفين» المعتمدين على مشهوداتهم بلا توزينٍ بميزان السُّنةِ المطهرة؛ لم يَشُكّ بما قُلْتُ.

ثم انْظُرْ -الآن- الى «القرآن» فإنه أيضاً غوّاصٌ، لكن له عينٌ مفتوحة تحيط بالكنز وما فيه، فيصفُ الكنز كما هو عليه، بتناسُبٍ وانتظام واطّراد، مثلاً:

يَشْتَمِلُ على ما تقتضيه عظمةُ مَنْ «السموات مطوياتٌ بيمينه» «والأرضُ قَبْضَتُهُ»... وكما قال: «يومَ نَطوي السَّماءَ كطيّ السجلّ للكتب» مع أنه «يصوركم في الأرحام كيف يشاء» «ما مِنْ دابّةٍ إلّا هوَ آخذٌ بناصيتها» «وخَلَقَ السموات والأرض» مع أنّه «خلقكم وما تعملون» «يُحيي الأرض» «وأوحينا الى النحّل» «والشمسُ والقمرُ والنجومُ مسخراتٌ بأمره» «أوَ لَمْ يَروا الى الطير فوقهم صافاتٍ ويقبضن ما يمكسهنّ إلّا الرحمنُ إنه بكل شيء بصير» يكتبُ صحيفةَ السماء بنجومها وشموسها ككتابة صحيفة جناح النحلة بحجيراته وذرّاته «وَسِعَ كُرْسيُّهُ السمواتِ والأرض» مع أنه «هو معكم أينما كنتم» هو الأولُ والآخِرُ والظاهر والباطن وهو بكلّ

شيء عليمٌ» وهكذا . . وقِسْ عليها . . وما يُشاهَدُ في نوع البشر من أنواع الفِرَق الضالّة إنما نشأت من قصور فَهْمِ أئمتهم المارين الى الباطن المعتمدين على مشهوداتهم والراجعين من أثناء الطريق المصدقين لما قيلَ : «حَفِظْتَ شيئاً وغابتْ عنك أشياءُ» . . .

٠٤٦ القَدَر

إعلم : أنّ مَنْ تأمَّلَ في ذرّات الأشياء، وسريانها الى حدود معينة ثم تَوَقُّفها عند هذه الحدود محققةً ما يُراد منها من فوائدَ وثمراتٍ، تيقنَ أنّ هناك آمِراً يأ مُرُ الذرات بـ«قفي وانْثني» عند الحدود، تماماً كما يأمر القالبُ مُذابَ الذهب بلسان الحديد وينهاهُ بـ«لا تَسِلْ» وآسْتَقرْ فيما عَيَنَتْهُ لك معاطفي وتلا فيفي المصنوعة للغرض المطلوب. وآمرُ الذرّات ماهو إلاّ علمٌ محيط، يتجلّى ذلك العلم قَدَراً، فينعكس القَدَرُ مقداراً، فينطبع المقدار قالباً . . .

٠٤٧ شمس النبوة

إعلم : أن القرآن كما يُفسِرُ بَعْضُه بعضاً، كذلك أن كتابَ العالم يُفسرُ بعضُ آياته بعضها. فكما أن العالم الماديّ يحتاج إحتياجاً حقيقياً الى شمس يُفيض منها عليه أنوارَ نعمته تعالى، كذلك العالم المعنويُّ يحتاج أيضاً الى شمسِ النبوّة لفيضان أضواء رحمته تعالى. فَنُبُوةُ «أحمد» عليه الصلاة والسلام في الظهور والوضوح والقطعية بدرجةِ الشمسِ في وسطِ النهار. وهل يحتاجُ النهارُ الى دليلٍ ؟!

٠٤٨ ادب الاستماع الى القرآن

إعلم : أنّك إذا استمعتَ القرآنَ، فآلبَسْ لكلّ نغمةٍ من نغماته المتصورة من وراء الحجب، والمتنوعة في المراتب الأرشادية والمنصبغةِ بحسيات الوسائط من جبرائيل عليه السلام الى مَنْ تَسْتَمعُ منه -ما

يُناسبها.

فَلَكَ أن تَمُرَّ من القاريء في مجلسك الى الاستماع من النبي -عليه الصلاة والسلام- الذي يَقْرَأُ من ذِروةٍ شاهقةٍ من النبوة على مجلس الأرض وأبنائها من بني آدم وغيرهم.

ولك أيضاً أن تستمتعَ من «جبرائيل» وهو يخاطبُ النبيَّ في الأفق الأعلى عليهما الصلاة والسلام.

ولك أن تستمع من خلف سبعين ألفَ حجابٍ من المتكلم الأزلى، وهو يتكلّم مع «النبيِّ» في قاب قوسين أو أدنى، فالبَسْ -إن استطعت- لكلٍّ ما يليقُ به..!

٤٩. من اسرار: «لا حول ولا قوة الّا بالله»

إعلم: أن (لا حول ولا قوة إلّا بالله) تنظرُ الى مراتب أطوار الأنسان وأدوار وجوده، من الذرات الى الوجود الحي: معدناً جامداً، ونباتاً نامياً، وحيواناً حسّاساً وإنساناً مؤمناً..

ففي كل مقامٍ من تلك المقامات، ولكل لطيفة من لطائفها آلام وآمال:

فلا حولَ عن العدم ولا قوةَ على الوجود إلّا بالله..

لا حولَ عن الزوال ولا قوةَ على البقاء إلا بالله..

لا حولَ عن المضار ولا قوةَ على المنافع إلّا بالله..

لا حولَ عن المصائب ولا قوةَ على المطالب إلّا بالله...

لا حولَ عن المعاصي ولا قوةَ على الطاعات إلّا بالله...

لا حولَ عن النقم ولا قوةَ على النّعم إلّا بالله...

لا حولَ عن المساويء ولا قوةَ على المحاسن إلّا بالله...

لا حولَ عن الآلام ولا قوة على الآمال إلّا بالله...

لا حولَ عن الظلمات الهائلة ولا قوة على الأنوار المتلألئة إلّا بالله

العلي العظيم.

٥٠ التفكّر نور يذيب الغفلة

إعلم: أنّ التّفكرَ نورٌ يذيبُ الغفلة الباردة الجامدة، والدّقةَ نارٌ تحرقُ الأوهامَ المظلمةَ اليابسةَ، لكنْ إذا تفكرتَ في نفسك فَدَقِقْ وتمهلْ وتغلغلْ. وَفَصِّلْ تفصيلاً، بمقتضى الاسم «الباطن» المتعمق. إذ كمالُ الصنعةِ أَ تَمُّ في التحليل والتفصيل هنا.

وإذا تفكّرتَ في «الآفاق» فاجملْ وأسرعْ ولا تَغُصْ ولا تَخُضْ إلاّ لحاجةِ إيضاح «قاعدة». ولا تحدّدْ النظرَ كما هو مقتضى الاسم «الظاهر» الواسع، إذ شعشعة الصنعة أجلى وأبهرُ وأجمل في الاجمال والجمع هنا، ولئلاّ تغرق فيما لا ساحل له.

فإذا فصّلتَ هناك وأجملتَ هنا، تقربتَ الى «الوحدة» فصارت «الجزئيات» جزءاً واحداً، والأنواع كُلاًّ، والمختلطُ ممتزجاً والممتزج متحداً، فيفور من كل ذلك نور اليقين.

وإذا عكستَ بأن أجملتَ فيكَ، وفصّلتَ في «الآفاق» تتشتت بك الكثرة وتستهويك الأوهام، وتستغلظ أنانيتك، وتتصلب غفلتك، فتنقلب طبيعةً فيك.

فهذه طريقُ الكثرة المنجرّةُ الى الضلالة...

اللّهم لا تجعلنا من الضالين.. آمين!

٥١ الروح بين آماله وآلامه

إعلم: أنّ في روح الأنسان توقاً لأشواقٍ وآمالٍ لا تتناهى، وفيه قابلية الغوصِ في بحارٍ من الآلام لا تتناهى أغوارها أيضاً.

فليس لك -أيها الانسان- أن تقول: ما أنا، ومَنْ أنا، حتى تقوم لى القيامة، ويوضع لي الميزان، ويجري عليَّ الحساب...؟!

فيا أيها الضال الشاك - لا تغترّ بهذه الحياة، فإن لذتها معلقة بمغالطة مربوطة بالشك لأهل الضلالة، فالضال الشاك هو في هروب دائمٍ من مواجهة الحقيقة. فهو يَفرّ من دهشة ألمِ «الزوال والفناء» الى احتمال وجودِ «السعادة الأبدية»..

ويفرّ أيضاً من مسؤولية تحمل التكاليف الدينية الى احتمال عدم وجود «الآخرة» فيتخلّصُ بهذه «المغالطة» من تكاليف الاعتقادين موقتاً، ولكن سرعان ما يجد نفسه وقد انحلّت العقدة وانكشفت الحقيقة، فلا الاحتمال الأول يهونُ ألمه بل يُحسُّهُ سيَّالاً من الألمِ المتدفق يهاجمه دفعةً واحدة، ولا الثاني يخففُ حمله بل يضاعفُ عليه الآمه الجهنمية.

ثم يرجع ويقول -وهو يرى أهل الضلالة يعانون ما يعاني- لقد عمّتْ المصيبة وطابتْ، فلا عليَّ إني كأمثالي فلا أبالي، ولكن تتضاعف عليه المصيبة بدرجة عمومها كإصابة الشخص في نفسه ثم أقاربه وأحبابه، لأنَّ في روح المرء علاقات بابناء جنسه فمهما عمّت المصيبة تضاعفت البلية.

٥٢ • وظيفة الاحياء

كل حيٍّ في الدنيا كعسكرٍ مَوّظفٍ، إنما يعمل لحساب الملك وبإسمه.. فَمن زعم أنه مالكٌ فهو هالكٌ..

إن هذا النظام والميزان المشهودين عنوانان لقبضتي الرحمن من الكتاب المبين.. ومن كتاب الكائنات. والقرآن ترجمان الكتابين وفذلكة القبضتين.

٥٣ • الأسباب

إعلم يا مَنْ يَسْتَمِدُّ من الأسباب أنّك (تَنفُخُ من غير ضَرَم وتَسْتَسْمنُ ذا ورم)!

مثلاً:

إذا شاهدتَ قصراً عجيباً يُبْنى من جواهرَ غريبةٍ، لا يُوجَدُ وَقْتَ بنائه بعضُ تلك الجواهر إلاّ في «الصين» وبعضها إلاّ في (فاس) وبعضها إلاّ في «اليمن» وبعضها إلاّ في «سيبريا»، وهكذا...

أفلا تشهدُ أنّ ذلك القصرَ بناءٌ يبنيه مَنْ يحكم كرةَ الأرض، ويجلبُ من أطرافها ما يريد في أسرع وقتٍ؟ وهكذا: كل حيٍّ هوبناءٌ، وكل حيوان هو قصر إلهي، والأنسانُ هو أحسن تلك القصور وأعجبها، لأنّ حاجاتِه ممتدةٌ الى «الأبد» وآمالَهُ تسمو الى آفاق السموات والأرض وروابطه مُوْغِلَةٌ في أعماق والآخرة.

فيا هذا الأنسان! لا يليقُ بكرامة إنسانيتك أن تدعو وتعبد إلاّ من يحكم على الأرض والسماء ويملك أزمَّةَ الدنيا والعقبى..!

٥٤. أنت الباقي

إعلم أنَّ الأبلهَ الذي لا يعرف الشمسَ، إذا رأى في مرآته صورةَ الشمس لا يُحبُّ إلاّ المرآة، ويحافظُ عليها بحرص شديد إستبقاءً للشمس في وهمه. ولكنْ إذا فَطِنَ أن الشمس لا تموتُ بموت المرآة، ولا تفنى بانكسارها، توّجه بتمام محبته الى الشمس نفسها. إذ ما يُشاهَدُ في المرآة ليس بقائم بها، بل هو قيومها الذي تتلألأ به، وبقاؤه ليس بها بل بنفسه..

يا هذا قلبك وهويتُك مرآةٌ، وما في فطرتك من حب البقاء ليس لأجلها، بل لأجل ما فيها..

فقل: «يا باقي أنت الباقي»، فأذْ أنت باقٍ؛ فليفعل الفناءُ بنا ما شاءَ فلا نبالي بما نلاقي.

٠٥٥ انتبه قبل ان تغرق

إعلم -يا أيّها الأنسان- أنَّ من غرائب ما أودع الفاطر الحكيم في ماهيتك أنه قد لا تَسَعُكَ الدنيا فتقول متضجراً: (أوف. . .) كالمسجون المخنوق، مع أنّه -في أحوال أخرى- تَسَعُكَ خردلة وحُجَيرةٌ وخاطِرةٌ ودقيقة حتى تفنى فيها، وتستعملُ أرقَّ حسيّاتك في الغوصِ فيها والانطواء في أرجائها.

واعطاك -الفاطر الحكيم- لطائفَ، بعضُها يبتلعُ الدنيا فلا يشبَعُ، وبعضها يضيقُ عن ذرَّةٍ ولا يتحّملُ شعيرة، كما أنّ العين لا تتحمل شعرةً.

فاحذرْ وخففْ الوطء وخَفْ أن تغرق ويغرق معك ألطفُ لطائفك في أكلة أو كلمة، أو شعرة أو شعيرة أو لمعة أو لحمة أو بقلة أو قبلة. . . فإنَّ في كل شي جهة من عدم التناهي يطيق أن يغرقَك ولا يضيق عن بَلْعك.

فانظرْ الى مرآتك كيف تغرق فيها السماءُ بنجومها، والى خردلة حافظتك كيف كَتَبَ «الحقُّ» فيها أكثر ما في صحيفة أعمالك، وأغلبَ ما في صحائفِ أعمارك. .

فسبحانه من قادر قيوم. . !

٠٥٦ دنياك قبر

إعلم أنّ دنياك منزل ضيق كالقبر. ولكن لكون جدرانه من الزُّجاج العاكس تراه واسعاً سعة مَدِّ البصر. إذ الماضي المعدومُ من جهة الدنيا، والآتي المفقودُ: مرآتانِ متقابلتانِ تصلان جناحي حالك، وتتصلانِ بزمانك، فيصعب عليك التمييز بين الحقيقة والمثال، فيصير زمانُك الآتي سطحاً شفّافاً، حتى إذا هزَّتك الأحداثُ وَحَرَكَتْكَ المصائبُ ضربتْ الجدرانُ رأسَكَ، فيطيشُ خيالُك، ويجافيك نومُك، فترى -عندئذٍ- دنياك أضيقَ من القبر والجسر، وزمانَك أسرعَ من البرقِ والنّهر. . .

٠٥٧ أطِعْ سلطان لطائفك

إعلم : -أيها السعيد الغافل- أنّ ما لا يُرافقك بعدَ فناءِ هذا العالم بل يفارقُك بخراب الدنيا، لا يليق أن تَلْصِقَ قلبك به.

فكيف بما يتركك بانقراض عصرك..؟ بل فكيف بما لا يصاحبك في سفر البرزخ..؟ بل فكيف بما لا يشيعك الى باب القبر..؟ بل فكيف بما يفارقك بعد سنة أو سنتين فراقاً أبدياً، مُورِثاً إثْمَهُ في ذمتك..؟ بل فكيف بما يتركك على رُغْمكَ في آن سرورك فإن كنتَ عاقلاً فلا تهتم ولا تغتم واتركْ ما لا يقتدرُ أن يُرافقك في سفر الأبد، بل يضمحل ويفنى تحت مصادمات الانقلابات الدنيوية والتطورات البرزخية والانفلاقات الأخروية.

ألا ترى أنّ فيك شيئاً لا يرضى إلّا بالأبد والأبدي، ولا يتوجّه إلّا إليه، ولا يتنزّل لما دونه؟ وذلك الشيء سلطان لطائفك.

فأطِع سلطانَ لطائفك المطيعَ لأمر فاطره الحكيم جلّ جلالُه.

٠٥٨ سنة الفاطر الحكيم

إعلم أنَّ من سُنّة الفاطر الحكيم في الأكثر المشاهد، ومن مشيئته، إعادةُ مَا لَهُ أهميةٌ وقيمةٌ غاليةٌ بعينه لا بمثله في الأدوار والفصول المتكررة بتجدد الأمثال في أكثر الأشياء. فانظر الى الحشر العصري والسنويّ واليومي، ترَ هذه القاعدة مطرّدةً.

وقد إتفقت الفنونُ وشهدت العلومُ على أن الأنسان أكملُ ثمرات شجرة الخلقة وله أهمية عظيمة وقيمة غالية، وفَرْدُهُ كنوعِ غيرِهِ.

فبالحدسِ القطعي يُعاد كلُّ فردٍ من البشر في الحشر بعينه واسمه ورسمه...

٥٩. الفواصل القرآنية

إعلم أن «الفذلكات» المذكورة في أواخر الآيات، لا تنظرُ الى تلك الآية التي فيها فقط، بل تنظرُ الى مجموع القصة، بل الى تمام السورة، بل الى جميع القرآن لتساند الآيات وتلاحظها وتناظرها.

فلا تَزِنْ ما في «الفذلكة» بميزان مآلِ آيتها فقط، ولا تحملْ عظمتَها على حكمٍ جزئي، مَهّدَ المحلُ لذكرها وإلّا بَخَسْتَها حقَّها.

مثلاً قال: - «وكذلك نفصلُ الآيات» «ولقد صرّفنا في هذا القرآنِ» «ولقد ضربنا في هذا القرآن من كل مثلٍ» «وإنّ الله عزيز حكيم» «وإنّ الله عليم قدير». ومثل: «لعلكم تذكرون» «ولعلكم تتقون». . وأمثالها ممّا له عيون ناظرةٌ الى أكثر الآيات التنزيلية، واكثر الآيات التكوينية، واكثر الأحوال البشرية.

فهذه الخواتيم القرآنية التى تُمْهَرُ بها الآياتُ مع تأييدها لآياتها، ترفع رأسَ المخاطَبِ من الجزء المشتّتِ الى الكل البسيط، ومن الجزء المفصَّل الى الكل المجمل. وتوجِّهُ نظر المخاطب الى المقصد الأعلى وغير ذلك من أسرار البلاغة. . .

٦٠. تلميذان

تزعم «أوروبا» أن كلَّ ذي حياة مالك لنفسه، ويعمل لذاته، ويسعى للذّته، وله حقُ الحياة ولو على حساب غيره، وغايةُ همته حفظ بقائه مهما كان الثمن.

وتتعامى «أوروبا» عن «ناموس» التعاون والتساند المبثوث في أرجاء العوالم والأكوان والموجودات. ومنها ما تراه بين المخلوقات من التعاون والتساند المأمور به من جانب خالقها، كإمدادات النبات للحيوان، وإمدادات الحيوان للأنسان، وتظُنُّ هذه العلاقات قائمةً على «جدل وخصامٍ» بين مصالح متناقضة، حتى حكمت بأنّ الحياة والتاريخ

خاضعان لهذا المنطق الجدلي المُتَوَّهم.

فيا سبحان الله، كيف يكون اشتياق الطعام لأداء وظيفته وإمداد حجيرات البدن بذرّات الغذاء عملية جدلية بين خصمين متناقضين..؟ لا بل.. هو تعاون بأمر ربٍ كريم..

والمتتلمذ على هذه الفكرة «فكرة الصراع بين الموجودات من أجل البقاء» لا بدَّ أنه سيرى في الدنيا مأتماً عمومياً، ويتوهم ضجيج الكائنات نعيّات الموت ونياحات اليتامى.. وتُصَيّرُ «أوروبا» تلميذَها المخلص «فرعوناً» ولكنه مع ذلك لا يتورع عن عبادة أخسّ الأشياء، ويرى كلَّ سبب نافعٍ أنه ربُّه.. وتجعلُ «أوروبا» منه «متمرداً» ولكنَّه يتمسكن ذليلاً إزاء لذّته، وهو مستعد لتقبيل رِجْلِ «الشيطان» من أجل منفعة خسيسة، وإنّ غايةَ هِمّةِ «تلميذٍ» كهذا، بَطْنُه وفَرْجُهُ، أو منفعةُ أبناء قومه وجنسه ابتغاء الشهرة، أو لتطمين حرصه وغروره.

وأمّا تلميذُ «القرآنِ» المخلصُ فَعبدٌ لله، ولكنه لا يتنزّلُ من مقام العبودية لأعظم المخلوقات، ولا لأجمل المغريات والمنافع، حتى ولو كانت المنفعةُ هي «الجنّةَ» نَفْسَها..

و «لَيِّنٌ هيِّنٌ» لكنه لا يتذللُ لغير فاطره بإذنه،

و «فقيرٌ» لكنه مُسْتَغنٍ بما إدّخر له مالِكُه الكريم.

و «ضعيفٌ» لكنّه قويٌّ بقوة «سيده» الذي لا نهاية لقوته.

ولا يرضى «تلميذُ القرآنِ الصادقُ» حتى بالجنّة الأبدية مَقْصِداً وغايةً (لأنّ غايته ومقصدَهُ الأساس هو رضى الله) فضلاً عن هذه الدنيا الزائلة.

فانظرْ -الآنَ- الى درجة التفاوت بين هِمّةِ هذين التلميذين.

فتلميذ «القرآن» لا يرى في أعظم الأشياء كالعرش والشمس إلاّ مخلوقاً عاجزاً مسخراً مأموراً، ويرى في روحه أواصرَ شوق ومحبّةٍ مع كلّ الصالحين من أهل السموات والأرض، فيدعو لهم من صميم قلبه كما يدعو لنفسه وأهل بيته..

فانظرْ التفاوتَ بين مروءة التلميذين:
ذاك يَفِرُّ من أخيه لنفسه.. وهذا يرى كُلَّ العبادِ إخوانَهُ..

٠٦١ الكتاب المبين

إعلم: أن الحقَّ سبحانه وتعالى بكمال كرمه، أدمجَ قسماً من مكافأة الخدمة في الخدمة نفسها. وأدرج أجرةَ العمل في العمل نفسه.

فالموجودات -وحتى الجامدات منها- تمتثلُ أوامرهُ التكوينية بغاية الشوق والمحبّة، حيث تنتشي بكونها موضع تجليات اسماء «نور الأنوار» ومرآةً لها، كالحُبَاب المظلم الذي يتوّجه بقلبه الصافي الى الشمس ويجعلُ من قلبه سريراً تترّبعُ عليه الشمس، فيتنور مبتسماً في وجهك، مَزهواً بعمله.

وكيف لا تلتذُّ الذرّات ومركباتُها بارتقائها من مرتبة الخمود والظلمة الى نهاية الظهور والنور مما تعكسُه من أنوار تجليات أسماء «ذي الجلال والجمال والكمال المطلق»..؟

أ نظرْ الى حواسك وأعضائك، فَقِوامُ حياتها، وغاية سرورها بأداءِ خدمتها لشخصك والمحافظة عليك من كلّ طاريء، وتعطيلها عن هذه الخدمة -لأي سبب من الأسباب- عذابٌ لها ما بعده عذابٌ.

ثم انظرْ الى الحيوانات كيف تَلْتَذُّ بوظائفها، ألا ترى الديكَ -مثلاً- كيف يُؤثِرُ الدجاجاتِ على نفسه في إلتقاط «حبّاتٍ» هنا وهناك ويحرمُ نفسَهُ منها، إنّه يفعل هذا متلذذاً مُفْتَخراً. وهكذا الدّجاجةُ تُؤثِرُ أفراخها على نفسها، وتستأسِدُ في الدّفاعِ عنها أمام البُزاةِ والصقور.

وكلُّ هذا يؤكد أن هذه المخلوقات لا تعمل لحساب أنْفُسها فقط، ولا لاستكمال لذائذها الذاتية فحسب، بل تعمل لحساب مَنْ وظّفها مُنْعِماً عليها برحمته الذي جعل لها من كل وظيفة من وظائفها لذّةً عاجلةً.

ثم انظرْ الى النباتات والأشجار كيف تمتثل أوامر فاطرها.. ألا ترى

شجرة التين كيف تُطعِمُ «التينَ» لبناً خالصاً تأخذه من خزينة الرحمة، وهي لا تُطعِمُ نفسَها إلّا الطين. . وشجرةَ الرُّمان تسقي الرُّمان شراباً صافياً وهي لا تشربُ إلّا الماء. . .

وهكذا انظرْ الى «الحبوبات» ترى فيها اشياقاً ظاهراً للتسنبل كمثل المحبوس في أضيق المكان كيف يشتاق الخروجَ الى البستان. . !

ومن هذا السرّ الجاري في الكون بسُنّة الله، يكون العاطل المستريحُ أشقى من الساعي المجدّ، إذ ذاك شاكٍ من عمره، وهذا شاكرٌ، فالسعادة كل السعادة في السعي والجدّ والعمل، والشقاء كل الشقاء في الراحة والتبطل والكسل. . .

ثم انظرْ الى الموجودات، ترَ أنَّ ما هو كائنٌ «بالقوة» يجتهدُ لأن يصير موجوداً «بالفعل» ويسعى بسُّنة الله الى الأرتقاء بطوره بشكلٍ يرمزُ الى أنه مدفوع بشوقٍ ولذّة لا قدرةَ له على كَبْتِها، ألا ترى قطرةَ الماء كيف يشتمل قلبها على شوقٍ لامتثال أمر بارئها، بحيث إقْتَدرَ الماءُ بشدّة ذلك الشوق -مع لطافة الماء- وضَعفه على شقّ الحديد مع قوة مقاومته عند سماع أمر: «تَوَسَّعْ أيها الماء بإذنِ ربّك» بوساطة لسان البرودة. . .

وهكذا -حتى أن جميع ما في الكون في السعي والحركة- من اهتزاز الذّرات الى دوران الشمس -إنما يجري على قانون القدر، ويَصْدُرُ من يد القُدرة، وَيَظْهرُ بالأمر التكويني المتضمن للعلم والأمر والأرادة، بل يتضمنُ القدرةَ أيضاً، حتى أن كل ذرّة، وكل مركّب، وكل ذي حياة يُشبِهُ جندياً ضمنَ جيش كبير، له نَسَبٌ في دوائر المركّبات، وله وظائفُ لفوائد بعدد نَسَبِهِ فيها، كذرّة عينك في حُجيرة عينك، وفي عينك، وفي أعصاب وجهك، وفي شرايين بدنك، في كلّ نِسْبَةٍ وظيفةٌ لفائدةٍ ما. . وهكذا

فكلُّ شيء يَشْهَدُ على وجوب وجود «القدير الأزلي» بلسان عجزه عن تحمل ما لا طاقة له به من وظائفه المحمولة عليه في نظام الكون وحفظ موازنة قوانينه، إذ النظام والموازنة بابانِ مهمّان دقيقان من كتاب «الكون

المبين».

فأين موقعُ الذرّة والنحلة من هذا الكتاب؟! وأين مَنْ يستطيع قراءة ذلك الكتاب الذى هو في يدِ مَنْ (يطوي السماء كطي السجّل للكتب)..

وكذا يشهدُ كلّ شيءٍ على وحدة واجب الوجود الحق سبحانه، بعلاقته وهو فردٌ بالمركّبات المتداخلة المتصاعدة ووظائفها في مقاماتها، ونَظَرِ نِسَبِهِ ومَقَاساته الى نقوشها..!

ثم إنّ الفاطر الحكيم أجملَ لكل شيء دساتيرَ «الكتاب المبين» وزرع فيه شوقاً ولذةً في الأمتثال لأوامر هذه الدساتير من حيث يشعر أولا يشعر، وأعطى الجوادُ المطلق سبحانه، ليدِ كل فردٍ من المخلوقات «تذكرةً مكتوبةً بمداد اللذّة والاحتياج» فسبحانه سبحانه كيف أدرجَ في سرائرها سطورَ «الكتاب المبين» في تذكرةٍ مسطورة في رأس النحلة مثلاً، مفتاحُها لذّةٌ خاصة بالنحلةِ المأمورة، وهكذا يظهرُ مما سمعتَ ممّا مرَّ بالحدس الايماني سرٌّ من أسرارِ «وَسِعَتْ رحمتُهُ كلَّ شيء» وسرٌّ من أسرارِ (وإن من شيء إلّا يُسَبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) وسرٌّ من أسرارِ: (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكونُ. فسبحان الذي بيده ملكوتُ كل شيء واليه تُرجعون).

٠٦٢ اترك الكل وتوكل عليه

إن فاطرك ومالكك أرحم واكرم وألطف وأرأف بك من كلّ قريب وحبيب ورفيق وشفيق. وهو العليم بك وبأسرارك، وهو القدير على الاستجابة لأعظم مطاليبك وأخفاها. فاترك الكُلَّ وتوّكل عليه...

٠٦٣ ثلاثة كتب

إعلم أنّ «كتاب» الكائنات الذي هو كتابُ القدرة، مخطوطٌ على صفحة «الكتاب المبين» الذي هو كتاب العلم، بدليل النظام والميزان المشهودين، والمحيطين بالوجود حتى لكأنّهما مدخلانِ لهذين الكتابين،

لايدخل أحد أو يخرج إلاّ منهما.

والكتابانِ -بعد ذلك- عنوانان لقبضتي الرحمن «ولا رطب ولا يابس» إلاّ وهما داخلان من باب هذين المدخلين في الكتاب المبين.

وأما «القرآن المبين» الذي هو «كتاب» صفة الكلام، فهو ترجمان الكتابين: الغيبي والشهودي، القُدرتي والعلمي، وهو فهرسُ البابين وفذلكة القبضتين.

ومن دساتير هذه «الكتب الثلاثة» الآتية من الصفات الثلاث التي هي: «العلم والقدرة والكلام»؛ أنّ كلّ حيّ بل كلّ شيء كجندي موظفٍ وكعبد مأمور، إنما يعمل لحساب الملك المالك له، لا لحساب نفسه ومالكيتها، ولا لذاتِهِ وللذّته. بل إنما لذّته في ذات وظيفته.

ومن زعم أنّهُ مالكٌ فهو هَالِكٌ..

ومن تَملَّك تَهَتَّكَ....

٠٦٤ نور معرفة الحق

يا مَنْ يحِبُّ أن ينظرَ ويصل الى نور معرفة «الحق» سبحانه وتعالى من مسامات الدلائل والبراهين، ومن مرايا الآيات والشواهد، لا تَتَجسَّسْ بأصابع التنقيد ما جرى عليك، ولا تجعلْ يد التردد تَنْقُدُ ما هَبَّ اليك، ولا تَمُدَّنَّ يدك لأخذ نورٍ أضاء لك بل تجَرّدْ وتعرّضْ وتوجَّهْ.. فإني قد شاهدتُ من أنواع الشواهد والبراهين ثلاثة أقسام:

قسمٌ منها كالماء يُرى ويُحَسُّ ولكنْ لا يُسْتَمْسَكُ بالأصابع.. فتجرَّدْ عن خيالاتك وانْغَمِسْ فيه بكليتك. ولا تتجَسسْ بأصبعِ التنقيد فإنه يسيلُ ولا يرضى بالأصبع محلاً.

وقسمٌ منها كالهواءِ يُحَسُّ ولكن لا يُرى ولا يُتَّخذُ.. فتعرّضْ بوجهك وفمك وروحك لنفحات رياح الرَّحمة، ولا تُقابلْها بيد الأخذ والتنقيد والتردّد بدل تَنَفُّس الفم وتَراوحِ الروحِ فإنّه يزولُ وهو منطلق ولا يرضى

باليد منزلاً

وقسم منها كالنور يُرى ولكن لا يُحَسُّ ولا يُؤْخَذُ، فَتَوَجَّه إليه ببصر بصيرتك ولا تَزِنْهُ بميزانِ الماديات فإنه يختفى وإن لم يَنْطَفِيْء، ولا يرضى بالماديِّ حبساً وقيداً وبالكثيف مالكاً وسيداً . . .

٠٦٥ القرآن والجمهور

انظرْ الى درجة رحمة القرآن وشفقته على جمهور العوام ومراعاتِه لبساطة أفكارهم وكيف يكرر ويكثر من الايماءِ والأشارة الى الآياتِ الواضحة المسطورة في جباه السموات والأرض فيعلِّمهُم كيف يقرأون الحروف الكبيرةَ الظاهرة التي تُقْرَأُ بكمال السهولة بلا شُبَهةٍ ولا خطأ، كخلق السموات والأرض، وإنزال الماء من السماء، وإحياء الأرض وأمثالها، ولا يُوَجِّهُ الأنظارَ الى الحروف الدقيقة المكتوبة ضمن الحروف الكبيرة وعلى صفحتها إلاّ نادراً.

ثم انظرْ الى جزالة بيان القرآن كيف يتلوعلى الانسان ما كَتَبَتْهُ يدُ القُدرة في صحائف الكائنات، حتى كأنَّ القُرآن -بحد ذاته- صوتُ قراءته للكائنات، وهمسُ تدبُّره لهندستها وانظمتها، وبيانٌ لشؤون مكونها وأفعاله فيها.

فإن شئتَ فاستمعْ بقلب شهيد أمثال سورة «عَمَّ» وآية: (قل اللّهم مالك الملك) وأمثالها. . .

٠٦٦ الباطن والظاهر

إعلم: أنّ الدليلَ على أنَّ «الباطنَ» أعلى وأتَمُّ شعوراً، وأقوى حياةً، وأزينُ وأعلمُ، واكملُ وأحسنُ وألطفُ من «الظاهر». . . وأنّ ما على «الظاهر من الحياة والشعور والكمال وأمثالها، إنّما هي ترشحٌ ضعيفٌ من «الباطن» -لا الباطنُ جامدٌ ميتٌ أثمر حيّاً عليماً -كما يريدُ بعضُ أدعياءِ العلم أن يوهموا الناسَ- أقولُ: إنَّ الدليل على ذلك، كونُ بَطْنَكَ

أكملُ إنتظاماً من بيتك، وجلدُك أحسنُ نسجاً من ثوبك وحافظتك أتمُّ نقشاً من كتابك.

فقسْ على هذا الجزئي عالمَ الملكوت وعالَمَ الشهادة وعالَمَ الغيب، والدنيا والآخرة.

فيا حسرةً على النفوس، إن النفس الأمّارة النظّارة بعين الهوى، ترى الظاهرَ حيّاً مؤنساً مفروشاً على باطن عميق مظلمٍ موحشٍ...

٦٧ • وجهك والوجوه الاخرى

إعلم أنّ وجهَكَ يتضمنُ من العلامات الفارقة عددَ أفراد البشر الماضين والآتين. بل لو وُجِدَ «غير المتناهي» من الأفراد لرأى كلُّ واحدٍ في «وجهك» ما يُميزك عنه، مع التوافق في أركان أجزاء الوجه، كأنَّ «الوحدةَ» تجلّتْ من وجهك في كثرة غير متناهيةٍ من الوجوه.

فالتوافق في أساسات أعضاء أفراد الأنسان والحيوان يَدُلُّ بالبداهة على أن «الصانع» واحدٌ أحدٌ.

والتخالفُ في التعينات المنتظمة، يدل بالضرورة على أنّ «الصانع» مختار حكيم. ويتعاظَمُ هذا السرُّ ويبدو اكثر وضوحاً بالنظر الى سماتِ وَجْهِ كلّ فرد، ورَصْدِ العلامات الفارقة التي تميزُ وجهاً عن وجهٍ...

ومن أبعد المحالات وأبطلها ألاّ يكون هذا التمييزُ الحكيم والتخالفُ المثمر، والتفريق المفيد، بقصدِ قاصد واختيار مختارٍ، وإرادةِ مُريدٍ، وعلمِ عليمٍ. فسبحان من أدْرَجَ وكَتَبَ وَرَسَمَ «غير المتناهي» من الوجوه في صحيفة الوجه الواحد بحيث تُقْرأُ «بالبصيرة» تفصيلاتُهُ، ولا يُرى «بالنظر» إجمالُهُ، بل ولا بالعقل أيضاً. فهو المعلوم المبصر، وهو المجهول المطلق وهو المشهود الغائب.

فمحالٌ بمراتبَ أن يكون هذا التخالف المنتظم المفيد في نوع الأنسان، والتوافقُ المطرّدُ المتناظرُ في أنواع أخرى أمثال: الحنطة والعنب.

وكذا النحل والنمل والسمك نتاجَ عشوائية التصادف الأعمى، والاتفاقية العوراء، كلاّ ثم كلاّ. إنه لصنعة سميعٍ، بصيرٍ، عليمٍ، حكيمٍ.. وآية (ومِنْ آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم)، إشارةٌ الى أولى مراتب تجلي الحكمة وإلى آخرها.

٠٦٨ ماذا تريد النفس

إعلم أنّ أشدَّ ما تطلبُهُ النفسُ الناطقة البقاءَ والدوامَ، حتى لو لم تخادعْ نفسها بتّوهم الدوام فيما تتناولُهُ من لذاذات الحياة ما التذّتْ بشيء.

فيا طالبة الدوام، اشتملي على ذكر «الدائم» سبحانه لتدومي وكوني زُجاجةً لنورهِ لئلا تنظفىء، وصَدَفاً لدُّرهِ ليغمُرَكِ الصفاء، وبَدَناً لنسيم ذكره لتحيىْ وتمسكي بالخيط النورانيِّ الذي هو شعاعٌ من الأسماءِ الآلهية لئلا تسقطي في فضاء العدم، فالثمرةُ الغافلة إذا لم تتوجَّهْ الى قِوامِ وجودها، وَلَهَتْ وانجذبتْ الى ما لا ينفعها، إنقطعَتْ وسقطتْ من علياء غُصنها...

فيا نفسُ.. استندي على ما يُقَوِمك، فلو كان كيانُك ألف خيطٍ، فتسعة وتسعون وتسعمئة خيط في يده، ولكِ خيطٌ واحدٌ، فاطرحي واحدك أيضاً في سفينة رحمته واستريحي.

٠٦٩ الفاتح الخاتم

إعلم أنّ أنيابَ الأسد كما تدل على أنّ من شأنه الإفتراس، وأن لطافة البطيخ على أنه للأكل، كذلك استعداد الأنسان يدل على أنّ وظيفته الفطريةَ العبوديةُ، وأنَّ علويةَ روحانيته، واشتياقَهُ الى البقاء والأبدية يدّل على أنَّ الأنسان خلق أولاً من عالم ألطف من هذا العالم، وأُرْسِلَ الى «هنا» ليتجّهزَ ويعودَ إليه.

وإنّ كونَهُ ثمرةَ شجرةِ الخلقة يدّل على أن من الأنسان مَنْ هو نَوَاةٌ

أنبتَ منها الصانع شجرةَ الخِلْقةِ، وما تلك النواةُ إلاّ مَنْ اتَّفقَ كلُّ الكُمّلِ بل نصف البشر بآية إنصباغ العالم بِصِبْغَتِهِ المعنوية على أنّه أفضلُ الخَلْقِ بالتمام، وهُو نورُ سيد الأنام، الفاتح الخاتمِ عليه الصلاة والسلام..

٠٧٠ من اعاجيب الانسان ومناقضاته

إعلم أنّ من الأعاجيب أن الأنسان خُلق ليكون: فاتحاً وكاشفاً ورائداً، وبرهاناً نيّراً، ودليلاً مبصراً ومُعْكِساً نورانياً، وقمراً مستنيراً للقدير الأزلي، ومرآةً شفافةً لتجلي الجمال الأزلي، بعد أن انجلتْ وتصيقلَتْ -هذه المرآة- بحمل الأمانة التي أشفقتْ من حملها السموات والأرضُ والجبالُ. إذ من مضامين تلك الأمانة صيرورةُ الأنسان «واحداً قياسياً» لفهم الصفات الآلهية المحيطة، وصيرورةُ ما فيه من «أنا» هذا «الأنا» الذي يمكن أن يتحول الى نقطة سوداءَ بالغفلة والشرك الخفي» -مفتاحاً لأبواب الصفات... فكيف ولأي شيء صار «اكثرُ بني البشر» حجاباً وباباً وسدّاً، وكان لزاماً عليه أن يَفْتَحَ فأغلَقَ.. وأن يُنّور فأظْلَمَ.. وأن يوحّد فأشرك... والسببُ في هذا كُلّه أنه بدلاً من أن ينظر بمرصاده الى الله، فيُسَلّمَ المُلْك اليه، نظر الى الخلق بمرصاد «أنا» فَقسَّمَ مُلْكَ الله عليهم. نعم: «إن الأنسان لظلوم جهول».

٠٧١ القياس الشيطانى

إعلم: أنّ (والله من ورائهم محيط) بأسمائه، فالأنسان بذهنه الجزئي المحدود المقيد الفاني فيما تعلّق به، ينظرُ الى عظمته تعالى وتدويره للسيّارات حول الشمس، فَيَسْتَبْعِدُ منه أن يشتغل بخلق الذُّباب مثلاً، بقياس الواجب على الممكن المسكين قياساً شيطانياً.

فمن هذا القياس الفاسد يَنْشَأ ظُلْمٌ عظيمٌ للمخلوقات الصغيرة، وتحقير لها، إذ ما من شيء إلاّ ويسبّح خالقه، ولا يتنزّل لأنْ يكون له ربٌّ

غيرَ مَنْ صَيَّرَ الدنيا بَيْتَهُ، والشمسَ سراجَهُ، والنجوم قناديلَهُ، كأنه ليس في الدنيا إلاّ ذلك الشيء الحيُّ وحده. فلا يجوز للكبير أن يتكبّر على الصغير، إذ الوجود كالحق، لا فرق بين القليل والكثير، وكم من قليلٍ كثيرٌ.. وكثير قليلٌ....

٠٧٢ الانسان الكامل

إعلم: أنّه يلزم لمثل هذه التزيينات الكونية والكمالات الخِلقية ومناظرِ الحسن والجمال المثبوتة في أرجاء الوجود وقد هيمنتْ عليه حِشمةُ الربوبية وسلطنة الألوهية، أقول يلزم لكلِّ هذه المشاهِد، مُشَاهِدٌ لها، ومتنزِّه فيها، ومَشْدوةٌ بحسنها، ومتأمِّلٌ في آيات خلقها. فلا يقفُ عندها، بل ينتقل منها الى جلالة صانعها ومالكها، ويعلم إقتدارَهُ وكمالَهُ.

نعم إن الانسان -مع جهله وظلمته- له استعدادٌ جامعٌ كأنه أنموذج مجموع العالم وأودعتْ فيه مفاتيحُ ما اسْتُغْلِقَ من أسرار العالم، وهو وَحْدَهُ القادرُ على فهم الكنز المخفي وفَتْحِهِ. ولم تُحَدَّدْ قُواهُ بل أُرسلتْ مطلقةً لِيَشْعُرَ بذلك الشعور الكُلّي الذي تَعْكِسُهُ في نفسه بارقةٌ من بوارق سلطان الأزل.

وكما أن «الحُسْنَ» يستدعي نظرَ العشق بالضرورة، كذلك رُبُّوبيةُ النَّقاش الأزلي تقتضي وجودَ نظرِ الأنسان بالتقدير والشَدَهِ والاستحسان والتفكير والتأمل، وتستلزمُ اقترانَ الحيرةِ والتفكير وملازمتهما له إلى أبد الآبدين.

نعم إنَّ مَنْ زيَّن وُجُوهَ الأزاهير، وأوجدَ لها عُشَّاقاً مُسْتَحْسنينَ من أنواع الفراشاتِ والعصافير والبلابل، وزينَ خدود المِلاحِ مَحَطَّ أنظار العاشقين الواهين، هو نَفْسُهُ -سبحانَهُ- الذي زين وجهَ العالم بهذه الزينة الجاذبة، ونَوَّر عيونَه بهذهِ المصابيح المبتسمة، وحسَّنَهُ بأنواع المحاسن المتلألئةِ، وهو لا يُخْليهِ من أنظار مشتاقين متحيرين متفكرين منجذبين

عارفينَ بقيمة ما يرونَ.

فلجامعية «الأنسان» صارَ «الأنسان الكامل» سببَ خلق الأفلاكِ وعِلّةً غائيّةً لها وثمرةً لها.

٠٧٣ التوقف هو العدم

إعلم أنَّ البطالةَ والسكونَ والتَّعطُّلَ والتَّوقُّفَ والاستمرارَ على طرازٍ لا يتغيرُ من الحياة في «الأنسان» هو نوعٌ من أنواع «العدم». والعدمُ ألمٌ مَحْضٌ، وشرٌّ صِرْفٌ، لا يمكن التخلُّصُ منه إلّا بالصيرورة والتغير والحركة.

ومن هنا كان في الحركة والفاعلية لذّةٌ عظيمة، والتحولُ من شأنٍ الى شأنٍ خيرٌ غزيرٌ، ولو كان هذا التحول من «اللّا ألم» الى الآلام والمصائب...

فالتأثرات والتألماتُ حَسَنةٌ من جهاتٍ، وقبيحةٌ من جهة.. فالحياةُ التي هي نورُ «الوجود» تتصَّفى بالتأثرات، وتنصقل وتتهذَّبُ بالتألمات التي تُحرِكُ قوى الأنسان الجسمية والروحية لمقابلة الآلام، ومساكَنَةِ الأوجاعِ وبذلك تتجدَّدُ النفس، وتنتعشُ الروحُ، ويَنْشَحِذُ الفكرُ، وهذا هو الوجود الحق...

٠٧٤ الحُلوة المرّة

لله دَرُّ العِلّةِ والمصيبة والذِلّةِ ما أحلاها وهي مُرَّةٌ، إذ هي التي تُذيقُك لذّةَ المناجاةِ والتضرُّعِ والدعاء...

عن ابن سمعون:

«كلُّ كلامٍ خَلاَ عن الذِكْرِ فهو لَهْوٌ».

٠٧٥ الحق فوق الاهواء

إعلم: أنّه لا حقَّ لأحدٍ في التَّشكي والاعتراض على صانع العالم،

إذ في إرضاء الفَرْدِ المشتكي، إغضابٌ لألوفِ الحكمِ التي يقوم عليها نظام العالم، وصلاحُ الأرضِ، (ولو اتَّبعَ الحقُّ أهواءَهم لفسدت السمواتُ والأرضُ).

فيا أيُّها المشتكي، مَنْ أنت حتى تعترضَ، وتجعلَ هوسَكَ وهواك مهندسَ كليات الكائنات، وذوقَك الفاسدَ مقياسَ درجات النِّعَم... ومن أنت حتى يُغيرَ «صانعُ العالم» حركةَ دواليبِ العالم، ودورانَ الفلك لتسكين هوسَك الذي لا يوازي -عنده- جناحَ بعوضةٍ، ولا يملأُ نواةَ تينةٍ... ولك أن تشتكي اليه، لا مِنْهُ. والمملوكُ لا يملكُ فاعرفْ حدَّك ولا تجاوزْ طورك..

٧٦. أشجار الاخرة

إعلم أنّ مَنْ يحفظُ بيضاتِ الهَوامِ والسمك، وبذورَ الحشرات والنباتات حفظاً رحيماً نظيماً حكيماً، كيف تليقُ بحفيظيته وحكمته أن تهمل ولا تحفظَ أعمالك التي هي نواتاتُ لاشجارٍ مثمرةٍ في الآخرة، وأنت حامل الأمانة وخليفة الأرض؟!

مع أنّ شدةَ حِسِّ حفظِ الحياةِ في كل حيٍّ، وشدةَ حسِّ التآلف والتعاون، من أجل البقاء والدوام -بينَ المتباينات المجتمعة- يدُّلانِ بالحدْس الصادق على أنّ الوجودَ ينْجرُّ الى البقاء الأبدي، بتجلّي اسم «الحيّ الحفيظِ الباقي» وهو رمزٌ -أيضاً- من القدر الآلهي الى أنّ في «الفاني» ما «يبقى».

٧٧. اللباب والقشور

إعلم: أنَّ المعنىٰ يبقى، واللفظَ يتبدّل واللُّبَ يبقى والقِشْرَ يتمزّقُ، والجسدَ يبقى واللباسَ يتخرّقُ، والروحَ يبقى والجسدَ يتفرّق، و«أنا» يَشُبُّ والجسدَ يشيبُ، والواحدَ يبقى والكثيرَ يبلى، والوحدةَ تدوم والكثرةَ

تتمزّق، والنورَ يبقى والمادةَ تتحلّل.

«فالمعنى» المجرد القادرُ على البقاء في أذهان الناس وأفكارهم من أول العمر الى آخره، مع لباسه لأجساد مختلفة وانتقاله في أطوارٍ متعددة، ومروره في أدوارٍ كثيرة، مع محافظته على وحدانيته، يَدُّل على أنه قادر على تخطي الموت أيضاً، وانسلالِهِ من بين كلاليبه متشققَ الجسدِ، عريانَ الروح، سالماً في طريق الأبد.

وقوةُ دستور «الحفظ والمحافظة» في الماديات التى الأصلُ فيها الفناء، يَدُّلُ بالحدسِ القطعي على أنه من الأولى والأقرب جريانُ ذلك «القانون البقائي» في المعنى والنور والروح الواحد البسيط التى الأصل فيها البقاء.

٠٧٨ القرآن وأفهام الجمهور

انظرْ الى كمال مُراعاة «القرآن» ومُماشاته وتأنيسه لأفْهام جمهور العوام، الذين هم الأكثرُ المطلق في كل زمان ومكان.

إذ يذكر في المسألة ذات الدرجات، الدرجةَ القريبة إليهم، وينشر -من الصحائف- الصحيفةَ الواضحة لنظرهم، وإلاّ يلتبسُ الأمر، ويُصبحُ الدليلُ أخفى من النتيجة.

فالقرآنُ يَذْكُرُ الأياتِ الكونية للاستدلال بها على صفات الخالق جلَّ جلاله، فكلّما كان -هذا الاستدلال- أظهرَ لفهم الجمهور- كانَ أوفقَ للأرشاد، مثلاً يقولُ: (ومِنْ آياته خَلْقُ السموات والأرضِ واختلاف ألسنتكم وألوانكم) مع أنَّ خلفَ طبقة الألوان مسافات تَعَيُّناتِ الوجه، كما أشير الى ذلك في مكان آخر من هذا الكتاب.

ويقول: (إنَّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات) مع أن تحت صحيفة الليل والنهار المقروءة للوهلة الأولى عجائب هندسة يَتِمُّ بها تحريكُ الأرض على نفسها، وتدويرها حولَ الشمس.

ويقول: (وجعلنا الجبال أوتاداً) مع أن تحت ما يُرى من صورة سفينة

الأرض التي تمخر عُبَابَ الفضاء، وما يُرى تحت خيمتها المرساةِ المربوطة بالعَمَدَ والأوتاد، هو أن حكمة خلق هذه الجبال هو لتسكين غضب الأرض التى «تكاد تميّز من الغيظ» بسبب الهَرْج والمَرْج في بطنها، وما يتسعر في داخلها من نيران وغازات، فالجبال منافذُ الأرض وكواها التي تتنفس من خلالها، مهما اشتدَّ غضبها فهي تهتزُّ بالزلزلة فقط، بدلَ التمزق ولولا الجبالُ لتمزقتْ. . .

وتحت هذه الصحيفة أيضاً جعلَ الجبالِ مخازنَ للماء وماشطةً تمشِطُ شَعْرَ الرياح من الغبار، وحاميةً تحمي سطحَ الأرض من استيلاء البحر عليه.

وهذه العناصرُ هي أوتاد حياة الحيوان على هذه الأرض، وكذلك أوتاد «الأنسان». . هذا الحيوانِ الناطقِ، والذي بدوره «وَتَدٌ» للدنيا، ! إذ من أجله وُجِدَتْ. . فَقِسْ على هذه أمثالَها.

ومن هذا السرِّ ترى الشريعةَ تعتبرُ رؤية الطلوع والغروب مواقيت مواسمها وأزمنةَ شعائرها، دون الألتفات للحسابات الدقيقة العميقة.

ومن هذا السرِّ أيضاً الترداد للتثبيت، والتكرار للتقرير في القرآن الكريم.

٠٧٩ حقائق الآيات

إعلم: أنَّ حقائق الآيات أوسعُ بمراتبَ من خيالات الأشعار، فتنزَّهتْ عن الشعرية.

والمتكلم خلفَ الآيات يَبْحَثُ عن شأنه وفعله، وفي الشعر حِسٌّ فضوليٌّ يَبْحَثُ عن غيره.

والقرآن الباحثُ عن عاديات الأمور هو -في الجملة- خارقٌ للعادة، والشعر الباحثُ عن خوارق العادات هو في الأكثر عاديٌّ. . .

٠٨٠ فسق الخيال

إعلم: أنَّ في الانسان الفرد، جماعةً من المكلَّفين: وهي أعضاؤه وحواسُّه، ولكلّ واحدٍ من حواسّه -ظاهراً أو باطناً- عبادةٌ تخصُّه، وضلالةٌ تُفَسِّقُه.

فكما أنَّ سجدةَ الرأسِ لغير الله ضلالة، كذلك سجدةُ خيال الشعراء بالحيرة المفرطة، والمحبّة الواهة في مدح «غير الله» -لا لله- أيضاً ضلالةٌ يَفْسُقُ بها الخيالُ. وقِسْ على الخيال إخوانه...

٠٨١ المَالوف غير المعلوم

إعلم أنَّ من أعمّ أساب ضلالةِ فكرِ البشر ظنَّ المألوف معلوماً، مع أنَّ الأُلفة تَتَضَمَّنُ الجهلَ المركب، فَبِحُكْمِ الأُلفةِ لا يتأمَّلُ الناسُ في العاديات المستمرة مع أنّها كُلَّها خوارقُ معجزاتِ القدرة، وما يُمْعِنُون النظر إلّا في ما فوق العاديات من نوع التجليات السيَّالة، كمن لا ينظر من مجموع البحر مع ما في بطنه من الحيوانات، إلّا الى تموُّجاته بالهواء، وَتَلأْلُئِهِ بشعاعات الشمس، فَيَسْتَدِلُّ بهاتين الصورتين فقط على عظمة مالك البحر وصانعه جلَّ جلاله.

٠٨٢ معلومات البشر ومسلّماتهم

إعلم أنَّ اكثر معلوماتِ الانسان الأرضية، ومسلماته، بل بديهياتُهُ

مبنيةٌ على الأُلفةِ، وهي مفروشةَ على الجهل المركّب، ففي الأساس فساد أي فساد.

فلهذا السرِّ تُوجِّه الآياتُ أنظارَ البشر الى العاديات المألوفة، وتَثْقُبُ نجومُ القرآن بأنوارها حجابَ الألفةِ، وتأخُذُ بأُذُنِ الأنسان وتميلُ برأسه، وتُرِيهِ ما تحت الألفة من خوارق العادات، في عين العاديات.

٠٨٣ الـ «أنا» مفتاح العالم

إعلم أنَّ مفتاحَ العالم في يَدِ الأنسان وفي نفسه، فالكائناتُ مع أنَّها مُفَتَّحةُ الأبواب مُنْغَلِقَةٌ.

والحقُّ سبحانه أودعَ -ضمنَ الأمانة التى حملها الأنسانُ- مفتاحاً يَفْتَحُ به كلَّ أبوابِ العالم، وطِلْسَماً يَفْتَحُ به كَنْزَ خلاّق الكون.

والمفتاحُ -أيها الأنسان- ما فيك من «أنا». إلاّ أنَّ «أنا» أيضاً مُعَمًّى مُغْلَقٌ. ومُطَلْسَمٌ مُنْغَلِقٌ، فإذا فَتَحْتَ «أنا» بمعرفة ماهيته الموهومة، انفتحتْ لك الكائناتُ-.

نعم إن الله جل جلاله أعطى الانسان «أنا» ليُصَيِّرَهُ «واحداً قياسياً» بالفرض والتَّوَهُّمِ -لا بالعلم والتحقُّقِ- لِفَهْمِ أوصافِ الربوبية.

فالأنسان إذا عَرَفَ «أنا» ماهو؛ بأنْ رآهُ -على حقيقته- شَعْرَةً شُعُورِيَةً في حَبْلِ وجودِ الأنسان، وخَيْطاً رقيقاً في ثوب ماهية البشر، وألفاً في كتاب المرء له وجهانِ:

وَجْهٌ الى الخير مُسْتَعِدٌّ لقبول فُيُوضَاتِ الخير فقط وليس بفاعلٍ.

ووَجْهٌ الى الشر والعدم وفيه فاعلٌ له. وماهيتُهُ -في الحقيقة- مَوْهُومَةٌ، وربُّوبيَّتُه مُتَخَيلةٌ، ووجودُهُ أضْعَفُ من أن يَتحمَّلَ شيئاً بالذاتِ. بل إنما هو كميزان الحرارة، وأمثاله من الموازين التي يُعْرَفُ بها مقاديرُ الأشياء.

«فأنا» أيضاً ميزانٌ تُعْرَفُ به الصفاتُ المحيطةُ المطلقة «للواجب الوجود».

فإذا عَرَفَ، وأذْعنَ دَخَلَ تحت: «قد أفلح من زكّاها» وأدّى الأمانة بحقها.

فإذا تأمَّلْتَ في «أنا» بالمعنى الحرفي، صار لك عيناً تَفهمُ وترى به كلّ ما في الكون، لأنَّهُ إذا جاءتْ «المعلومات الآفاقية» قَابَلَتْ في «أنا» ما

يُصدِّقها، فإذا فهمتها انتهتْ وظيفةُ «أنا» وربوبيتُه الموهومة ومالكيتُهُ المفروضة.

وأمّا إذا نظرْتَ الى «أنا» بالمعنى الأسمي واعْتَقَدتَّهُ مالكاً، وخُنْتَ في الأمانة دَخَلْتَ تحت: «وقد خاب من دسّاها» إذ الأمانةُ التي أشفقتْ من حملها السموات والأرض والجبال هي «أنا» من هذه الجهة، إذ منها يتوالدُ الشِرْكُ والشرورُ والضلالاتُ. وإذا استتر «أنا» عنك وخفي ولم تعرفْ حقيقتَهُ صار حبلاً يلفُّ وجودك، فيصيرُ -عندئذٍ- كُلُّكَ «أنا». ثم يَسْتَغْلِظُ بأنانيةِ النوع البشري وبالاستناد إليه فَيَنْقَلِبَ شيطاناً يُبارِزُ أمرَ صانِعِهِ.

ثم يبدأ هذا «الأنا» يقيسُ النّاس، ثم الأسبابَ على نفسه فيقعُ في شِرْكٍ عظيم... فمِن هذا المنظار لو أرسَلْتَ عينَكَ، وفَتَحْتَ كلَّ الآفاق إنْغَلَقَتْ في وجهك، برجوع عينك الى نفسك، إذ ترى كلَّ شيءٍ بلون ما في نفسك من «أنا». ولَوْنُهُ في ذاته -كما صار إليه- هو الشِرْكُ والتعطيلُ، ولو مُلِئَتْ الآفاقَ آياتٌ باهراتٌ وبقيَ في «أنا» نقطةٌ مظلمةٌ طَمَّتْ على الآيات وَحَجَبَتْها...!

٨٤ ٠ «أنا» بين الفلسفة والنبوة

«أنا».. له وجهان:

وَجْهٌ أخذتْهُ النُبُوةُ، ووجهٌ أخَذَتْهُ الفلسفةُ.

فالوجه الأول: منشأُ العبودية المحضة؛ ماهيتُهُ حَرْفيّةٌ، ووجودُهُ تَبَعيٌّ، ومالكيتُهُ وهميّة، وحقيقتُهُ فَرَضيةٌ، ووظيفتُهُ صير ورتُهُ ميزاناً ومقياساً لفهم صفات الخالق. فالأنبياءُ «عليهم السلام» هكذا نظروا الى «أنا» فسلَّموا الملكَ كلَّه لله، وحكموا بأنه لا شريك له، لا في ملكه ولا في ربوبيته ولا في ألوهيته «وبيده مقاليد كلِّ شيء وهو على كل شيء قدير».

ومن هذا الوجه الشّفاف الحي أنبتَ الرحيمُ جلَّ جلالُه «شجرةَ

طوبى» العبودية؛ فأثمرتْ أغصانُها المباركة في حديقة الكائنات، دانيةً قطوفها، متدليةً بثمرات الأنبياء والمرسلين والأولياء والصديقين المتلألئين كالنجوم في الظلمات.

وأمّا «الفلسفة» فنظرتْ الى «أنا» بالمعنى الأسمي لا الحرفيّ، وبالوجود الأصلي دون التبعي، وَزَعَمَهُ -الفلاسفة- مالكاً بالحقيقة، وظنُّوه حقيقةً ثابتةً، وتوهموا حبَّه لذاته وظيفةً لابدَّ منها لتكميل ذاته والارتقاء بها في سُلَّم الموجودات.

ومن هنا ولِدَ «الشِرْكُ» وانْشَعَبَتْ أنواعُهُ، وعلى رأس «أنا» نَبَتَتْ «شجرة زَقّوم» الضلالة...

فمن غُصنِ «القوة البهيمية» وباستحسان القوة الظالمة والحُسْنِ المرآتي من قبل البشر -أثْمَرَ هذا الغصنُ أصناماً عابدةً من جهةٍ ومعبودةً من جهة..

ومن غصن «القوة الغضبية» أثْمَرَتْ على رؤوس البشر «نماردَ وفراعينَ».

ومن «القوة العقلية» أثمرتْ في عقول البشر أفكار «الدهريين والماديين»، وفلاسفةً يُعطون «لواجب الوجود» عملاً واحداً، ويَقْسِمُونَ سائرَ مُلكِهِ على غيره تعالى..

وإن «أنا» في ذاته، كأنَّهُ كان هواءً وبخاراً، لكنْ بسبب شؤم نظرهم تميَّعَ، ثم بالألفة تصلّب، ثم بالغفلة تجمّد، ثم بالعصيان تكدّر فاستغلظ حتى ابتلع صاحبَهُ. وتوسَّعَ بأفكار النوع، ثم قاسَ الناسَ والأسباب على نفسه فصارَ مبارزاً لأوامرِ خالقه. فمن هنا اُضطُرَّ بعضُ الفلاسفة الى القول بتأثير «الأسباب» و«إيجاد الطبيعة» أي أنّها قادرة على «الخلق والايجاد» وفسروا كثيراً من ظواهر الخلق والتكوين «بالصدفة والتصادف» ونَفَوا الحشر وحكموا بقِدمِ الأرواح. وأمثال هذه من ضلالاتهم «قاتلهم الله أنّى يؤفكون» إخْتَطَفَتْهُمْ الشياطينُ بمنقار «أنا» وأنابيبهِ ومخاليبه...

«فأنا» في العالم الصغير وهو «الأنسان» كالطبيعة في العالم الكبير، كلاهما من الطواغيت. «ومن يكفر بالطاغوت ويؤمنْ بالله فقد استمسكَ بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم».

٠٨٥ شجرة العالم

إعلم أنّ الشجرة -بل كلَّ ما فيه قانون التكامل- لابدَّ أن تَنْبُتَ على نواة تربَّتْ في بطن ثمرةٍ من مثلِ أثمار تلك الشجرة نفسها، فإن لم تُسْبَقْ بغيرها -كشجرة العالم- فلابدَّ لها من نواةٍ عَرْيَانةٍ ما تجسَّدتْ بثمرةٍ بَعْدُ. ثم حَقُّها من العناية الأزلية أن تلبسَ أيضاً ثمرةً من ثمرة الشجرة التي تَنبتَّتْ عليها. ولابدَّ أن تكون تلك الثمرةُ التي تجسّدتْ النواةُ بها، أعظمَ واكرمَ والطفَ وأشرفَ وأعلى وأجلى.

فالكائنات شجرةٌ، والعناصرُ أغصانُها، والنباتاتُ أوراقها، والحيواناتُ أزاهيرها، والأناسيُّ ثمراتها.

وأضوأُ ثمراتها وأنورها وأولاها وأجلاها وأحسنُها وأزينُها واعظمُها واكرمُها وأشرفُها والطفُها وأجمعُها وأنفعُها... هو «محمدٌ» عليه الصلاة والسلام؛ سيد المرسلين، وإمام المتقين، وحبيب ربِّ العالمين.. صاحبُ المعراجِ وما زاغ البصرُ، ومَنْ انشقَّ له القمرُ، وكلَّمهُ الضبُّ والظبيُّ، والذئبُ والجذعُ والذراعُ والجمل والجبل والحجر والمدر والشجر، ونبعَ الماء من بين أصابعه كالكوثر، أفضلُ الخلائق الأنسانية، ومجمعُ الحقائق الايمانية، وطُورُ التجلّيات الأحسانية، ومهبطُ الأسرار الرحمانية، وقائدُ ركب الأنبياء والصديقين، وأفضل الخلق أجمعين، حاملُ لواء العز الأعلى بالتوحيد، ومالك أزِمّة المجد الأسنى بالاسلام شاهدُ أسرار الأزل، ومُشاهدُ أنوارِ السوابق الأُوَل، وترجمانُ لسان القِدَم، ومنبعُ العلمِ والحلم والحِكَمِ، المتحقق بأعلى رُتب العبودية، والمتخلق بأخلاق مقامات الأصطفائية، الخليلُ الأعظمُ، والحبيب الأكرم، عليه أفضلُ الصلوات

وأزكى التحيات، وأنمى البركات، ما دامت الأرض والسموات..

٠٨٦ كل شيء مكتوب

إعلم: أنَّ الآيات المصرّحةَ بكتابة الأشياء قبلَ كونها، وبعد كونها كثيرةٌ، كأمثال: «ولا رَطْبٍ ولا يابسٍ إلّا في كتاب مبين» ويصدّقُها كتاب الكائنات، بكتاباته المنظومةِ، وآياته الموزونة، لا سيما آياتُ النظامِ والميزان والانتظام والتصوير والتزيين والتمييز.

أمّا قبلَ الكون:

فالدليلُ جميعُ المبادىء والبذور، وجميعُ المقادير والصور.

إذ ما البذورُ إلّا صُنيدقاتٌ لطيفةٌ أُودعَ فيها فهرسُ ما رَسَمَهُ القدرُ، فتبني يدُ القُدرة وتستخدم الذرّات بموجب الخارطة المطوية في هذه البذور.

وما المقادير إلّا معادلاتٌ قدرية منظومة، وقوالبُ علمية موزونة، إذ الذّرات الصّماء العمياء الجامدة تتحرك في نُمُوِ الأشياء، ثم تتوقف عند حدودٍ معينة، تَوَقُّفَ سميعٍ بصيرٍ بمظانِ الفوائد والثمرات. وهكذا فَقِسْ كثرةَ براهين الكتابة!

وأما الدليل على الكتابة بعد الكون:

فمن العَالمِ: جميعُ الثمرات التى هي كمطويات صحائف أعمال الأشجار والأزهار.

تَنْشُرُ على رؤوس الأشهاد ما جرى على رؤوس أصولها، إذا دُفِنَتْ في الأرض ميتةً، وحُشِرَتْ في الربيع حَيّةً.

ومن الانسان: قوتُهُ الحافظةُ المطويةُ في محلٍّ «كالخردلة» في الصغر، وما هي إلّا ورقةُ تسجيلٍ استنسخْتهُ يدُ القدرة بقلم القدر من صحيفة أعماله، وأعْطَتْهُ دِماغَ الأنسان ليستعيد به ذكرياتِهِ وأعمالَهُ وقتَ المحاسبة، وليكون مطمئناً بأنَّ خلفَ هذا الهَرْجِ والمَرْجِ، والفناءِ والزوال؛ مرايا

للبقاء، يَرْسُمُ فيها القدير هويات الزائلات، وألواحٌ يَكْتُبُ فيها الحفيظُ العليمُ معانيَ الفانيات. . .

٠٨٧ ميزات الانسان

إعلم: أنَّ ممّا يميزُ الأنسانَ عن الحيوانِ. . شُمُولُ علاقته بالماضي والمستقبل، وكُلِّيةُ إدراكه «للأنفس» و«الآفاق»، وكشفُهُ لترتُّبِ العلل الظاهرية في إنشاء الأشياء الظاهرية.

فاعظمُ وظيفتِهِ وأقدمُها، وأتمُّ جهازاته وألزمُها: التسبيحُ والتحميدُ بالجهاز المخلوق لهما؛ فيسبِّحُ الأنسانُ صانَعه بلسان الماضي والحال والمستقبل، وبألسنةِ «الأنفس والآفاق». وبسرِّ مشاهدته لتسبيحات المخلوقات، وشهادته عليها، يُثني على صانع الأشياء وحكمته في صنعها.

(فسبحان الله). . يتضمنُ معنى الحيرة والتقدير، ومعنى التعجب والاستحسان، ومعنى التنزيه والتقديس، ومعنى الهيبة مع المحبة، ومعنى المجهولية للعظمة.

٠٨٨ من اسرار الاسماء الحسنى

إعلم: أنَّ السرَّ في تختيم الآيات القرآنية بفذلكاتٍ متضمنةٍ للأسماء الحسنى كأمثال: «آية الملك» أو بعين الأسماء كما في كثير من الآيات: هو أنَّ «القرآن الحكيم» ببيانه الأعجازي يبسط الآثارَ للنظر، ثم يستخرج منها الأسماءَ كأمثال آية: «وهو الذي يبدأ الخلق ثم يُعيده. وهو أهونُ عليه، وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو السميع العليم».

وكذا يَنْشُرُ للبشر منسوجاتِ صُنعِهِ، ثم يطويها في الأسماء.

وكذا يُفصِّلُ أفاعيله ثم يُجملُها في الأسماء.

وكذا يستعرض المخلوقات، ويريك بمنظاره الشفاف، النظامَ والميزانَ والفوائدَ من خلالها. . . ثم يُريك فيها الأسماء، وكأن تلك

المخلوقات ألفاظٌ، وهذه الأسماء معانيها أوماؤها أو نواتها أو خلاصتها علماً ويقيناً.

وكذا يَذْكُر «الجزئيات» المادية المتكيفة المتغيرة، ثم يُجملها بالأسماء الكلية النورانية الثابتة.

وكذا يَفْرُش الكثرة المتوسعة المنتشرة، ثم يضع عليها مظاهر الوحدة من جهة «الواحد»...

وكذا يُظهر -بإظهار غايات المُسَبِّباتِ- بُعْدَ ما بينَ الأسباب والمُسَبَّباتِ المتصلتين في الظاهر -كإتصال الأفق بالسماء ظاهراً- مع أن ما بينَهُما في حقيقة الأمر مسافة مدهشة.

إذ لا طاقة لأعظم «الأسباب» بذاته على حَمْل أخفّ المسبَّبات، فيظهر القرآن -بإظهار هذا البعد- مَحَلَّ ظهور الأسماء ومطالعها.

وكذا قد يذكر أفاعيلَ الخلق فيهدّد، ثم يُسَلّي بأسماء تشير الى الرحمة.

وقد يذكر مقاصدَ جزئيةً ثم يُقرّرها بأسماءَ هي كالقواعد الكلية والبراهين عليها...

٨٩. أقصر الطرق الى الله

إعلم: أنَّ العجز والتبرّءَ من الحول والقوة -كالعشق- موصلٌ الى الله تعالى بل هو أقرب وأسلم. ثم إن (أهل السلوك الى الله) سلكوا في طرق «الخفاء» على «اللطائف العشر».. وفي طرق «الجهر» على اجتياز عقبات «النفوس السبع»...

وهذا العاجز -يقصد نفسه- استفاد من القرآن «طريقاً قصيرة» وسبيلاً سوية، هي أربع خُطوات:

الخطوة الأولى: ما أشارتْ اليها آية «ولا تزكوا أنفسكم».

والثانية: ما أشارتْ اليها آية «ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم

أنفسَهم».

والثالثة: ما أشارتْ اليها آية «ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك»

والرابعة: ما أشارت اليها آية «كل شيء هالكٌ إلّا وجهَه».

وإيضاحهُ أولاً:

إن الانسان بحَسَبِ جِبلَّتهِ مُحبٌّ لنفسه ولا يُحبُّ -قبل كل شيء إلّا ذاتَه، فيمدحُ نفسَه مدحاً لا يليق إلّا بالمعبود، ويدافِعُ عن نفسه بشدة، ويُنزهُها عن المعايب، ولا يقبل القصور لها ما أمكنه، حتى لكأنه يَصْرِفُ الجهازَ المخلوقَ فيه لحمد معبوده وتسبيحه، الى نفسه كمن اتخذ إلَهَهُ هَوَاهُ... فلا بدَّ من تزكيتها -هنا- بعدم تزكيتها.

والثانية: نسيان النفس في مقام الكلفة والخدمة لله... وشدّة حضورها وتأكيدُ وجودها في مقام طلب الأجرة والحظوظ الذاتية.. فتزكية النفس ينبغي أن يكون معكوس هذه الحالة... أي «عدم النسيان» -في «عين النسيان»...

والمرتبة الثالثة: لا يَرَى من نفسه إلّا القصور والنقص والعجز والفقر، ويرى كل المحاسن نِعَماً من جانب فاطره تقتضي الحمد لا الفخر، فتزكيتها في هذه المرتبة، عِلْمُها بأنَّ «كمالها» في «عدم كمالها. وقدرتها في «عجزها» و «غناها» في «فقرها»...

والخطوة الرابعة: ينبغي أن يُدْرِكَ الانسانُ؛ أنه في نفسه «بالمعنى الأسمي» فانٍ مفقودٌ، حادث معدومٌ... وبالمعنى «الحرفي» أي كونه مرآةً تعكس أسماءَ صانعه «شاهد مشهود وواجد موجود».

فتزكيتها هنا، معرفة أنَّ «عدَمها في وجودها» و «وجودَها في عدمها» ورَدُّها للمُلك اليه تعالى وتوجُّهُها بالحمد له.

ومعلومٌ أنَّ مَشْربَ أهل «وحدة الوجود» يَذْهَبُ الى «إعدام الكائنات» بنفي وجودها، ومشربَ أهل «وحدةِ الشهود» يذهب الى

«حبس الموجودات» في سجن النسيان المطلق.

وأمّا ما أفْهَمُ من «منهاج القرآن» هو عَفْوَها عن الاعدام والحبس كليهما.. بل استخدامها في وظائف إعلان «الأسماء الحسنى» بالمظهرية والمرآتية، بالمعنى «الحرفي» لله تعالى وعزّلها من الخدمة بالمعنى «الأسمي» ولحساب نفسها... ثم إن في وجود الأنسان دوائر متداخلة، ومصنوعاتٍ متراكبةً؛ إذ هو نبات وحيوان وإنسان ومؤمن...

فالمعاملةُ للتزكية قد تقعُ اولاً في الطبقة الرابعة الايمانية، ثم تتنازل الى «النباتية» التي هي أشدُّ طبقات الأنسان مقاومةً.

وقد تقعُ المعاملة في «الكلّ» في اليوم والليلة... ومِمَّا غَلِطَ فيه الأنسان عدم التفريق بين تلك المراتب فيقول:

لقد خُلق لنا ما في الأرض جميعاً.. فهو -اولاً- يَغْلَطُ بظنِّ انحصار الأنسانية في معدنه النباني أو الحيواني. ثم يَغْلَطُ -ثانياً- بحصر غايات الاشياء فيما يؤول الى نفسه بالمنفعة، ثم يغلط -ثالثاً- بتقدير قيمة الأشياء بمقياس مقدار منفعته منها، فلا يشتري نجمَ «الزُّهرة» بزهرةٍ مشمومة...

٩٠. سر الانتظام فى «عدم الانتظام»

إعلم: أنه كما أنَّ مَنْ يُحبُّ أن يُشاهِدَ في رياض جنته، وحديقته المنتظمة، صورةَ القفار غير المنتظمة، ومثالَ أحجارها المدهشة وأمثلةً من فجاجها وطرقها المعوّجة المشوشة، من أجل إظهار لطافة تنظيماته وإبراز محاسنها في العين، وقد يبالغُ فيصنع فيما بين منظومات بستانه صخورَ الكهوف بمنحنياتها ومنعطفاتها المشوشة.

فكمالُ إنتظامها هنا -عند صاحب الحديقة- في عدم إنتظامها، لكي يتفطَّنَ المدقق المشاهد أن تنظيم هذا بعدم الانتظام، إنما هو بقصد ناظمٍ حكيمٍ:

كذلك أن ما يشاهد فيما بين المخلوقات المنظومة والمصنوعات الموزونة من القفار المختلفة الأشكال المشوشة الصور، ومن الجبال والآكام المتفاوتة الأحجار البعيدة عن النظام، لدرجةٍ تتوهم معها النظرة الحمقاء الظاهرية أنها ترى فوقها بصمات يد العبث والتصادف. وما هي -في الحقيقة- إلّا منتظمةٌ بعدم التنظيم، ومشوشيته السطحية، بقصد صانعٍ حكيم وفاطر عليمٍ، يشهد على ذلك ما يحيط بها ويكتنفها من منظومات وموزونات، تماماً كما تنتظم الدرر على نحور الجواهر لأظهار الفارق بين المنظوم والمنثور، وإن كان وراء كليهما صانعٌ حاذقٌ.

فانظر الى الأشجار ذوات الأشواك، والى النباتات المجهّزة برماح أشواكها لدفع آكل النباتات وسترى إنتظاماً عجيباً في عدم إنتظامها، ولطافةً ظريفةً في خشونتها الموحشة.

ومن أمارات كون عدم الانتظام «كالأنتظام» بقصد صانعٍ حكيم. هو عدمُ توافقِ شكلِ بعضٍ لبعضٍ بدرجة كأن كلَّ فردٍ من هذا النوع مستقلٌ بنفسه عن النوع كله، مع اتحاد النوع، وهيمنة أسباب التوافق والتشابه عليه. فعدم التوافق دليلٌ على عدم «الاتفاق العشوائي» و«التصادف الطبيعي» كما يحلو للبعض أن يتوهم...

٩١. لا تشتت جنود صبرك

إعلمْ أيُّها المصابُ المُبتلى بأحدى بلايا الحياة منذُ سنين طويلة- لا تُبدِّدْ قوةَ صبركَ، ولا تُشَتِّتْ جنودَه على سني ابتلائك الى يومك هذا، بل الى ساعتك هذه... فأيامُ إبتلائك الماضيات إلتَحقَتْ الى صفّ جنودِ صبرك، بانقلابها الى لذائذ معنوية وحسنات أخروية...

وكذا لا تَحْشِدْ مِن جنود صبرك في مقابلة ما سيأتي بعد يومك، بل ساعتك هذه، إذ هو عدمٌ معدوم، وفي يد المشيئة.

فاجْمَعَ جميعَ قوة صبرك وجنوده لهذا اليوم، ولهذه الساعة، مع

الأحساس بتعاظم قوتك المعنوية بالتحاق جنود البلايا الأعداء الى صف جنودك بصير ورتها أحباباً ممدّة لك بالقوة.

ولا تنسَ الاستمداد من التوكل على المالك الكريم الرحيم الحكيم في مقابلة ما سيأتي...

فإذا فَعَلتَ هكذا، يكفي أضعفُ صبرك لأعظم مصيبتك...

٠٩٢ التعاون دستور الحياة

إعلمْ: أنَّ مما يدُلُ على أنّ دستورَ الحياة هو التعاون بين الموجودات، وليس «المنطق الجدلي المثيرُ للنزاع بين متناقضات هذه الموجودات» كما توهمه بعضُ الفلاسفة هو ما نُشاهدُهُ من عدم مقاومة التراب الصلب، ولا الحجر الصلد لسيران لطائف ورقائق عروق النباتات اللينة الهينة، بل -بسرِّ التعاون- يَشُقُّ الحجرُ قلبَه القاسي عند أولى اللمسات التحسسيَّة لأنامل بنات النبات الحريرية، ويفتَحُ الترابُ صدرَهُ المصَمتَ -بكل تَرْحابٍ- لاستقبالِ عرائسِ النباتات وهي تدلجُ على استحياء في ظلمات التراب.

ثم انظرْ الى تجاوبِ الكائنات -بشمسها وقمرها- لمنفعة الحيوانات وتسارع النباتات لأمداد الحيوانات بأرزاقها، وتسابق المواد الغذائية لتغذية الثمرات، وتزينُ الثمرات لاغراء المرتزقات، وتعاون الذرات في إمدادها حجيرات البدن بالغذاء، كلُّ ذلك دليلٌ قاطعٌ ساطعٌ على أن الدستور العام للحياة هو «التعاون» وما «المنطق الجدلي الخصاميُّ» إلّا قانونٌ جزئيٌ يَشُذُّ من القانون العام... ولا سيما بين بعضٍ من ظلمَةِ الحيوان.

٠٩٣ الخوف والمحبة

إعلمْ -أيُّها السعيد العاجز الخائف- أن الخوف والمحبّة إذا توجَّها الى الخلق، صار الخوفُ بليةً أليمةً... وصارت المحبّة مصيبةً منغصة، إذ

تخاف مَنْ لا يرحمُك ولا يسمعُ استرحامك وتحب مَنْ لا يعرفك أو يَحْقُرُكَ لمحبتك أو لا يرافقُك بل يُفارقك على رُغمك . . .

فاصْرُفْهُمَا -أي المحبَّةَ والخوفَ- من الدنيا وما فيها الى فاطرك الكريم وخالقك الرحيم، ليصيرَ خوفُك تذلُّلاً لذيذاً بالالتجاءِ الى صدر الرحمة، كتلذذ الطفل بالتخوف الذي يدفعه للانضمام الى صدر أمّه الشفيقة . . وتصيرُ محبتك سعادةً أبديةً لا تزول ولا تذُّل، ولا إثمَ ولا ألمَ . . . .

٠٩٤ مسألة فى النحو

إني أَحْمَدُ الله على أنْ فَتَحَ لي أعاظم مسائل هذه الكائنات بمسألةٍ من النحو، وهي الفرق بين «المعنى الحرفي والأسمي» . . . أي هذه الموجودات كلماتٌ دالّاتٌ على معانٍ في غيرها، أي مكتوباتٌ ربانيةٌ تالياتٌ للأسماء الحسنى، لا إسميةٌ حتى تدل على معنىً في نفسها لذاتها .

فما تَفَرَّعَ من الوجهِ الأولِ : علمٌ وإيمان وحكمة .

ومن الوجه الثاني : جهلٌ مركبٌ، وكفرانٌ مرجَّبٌ، وفلسفةٌ مُذْهِبَةٌ للرشادِ . .

٠٩٥ الدعاء والاجابة

اعلم يا مَنْ يدّعي أنه يدعو ولا يُجابُ!

إن الدعاءَ عبادةٌ، وثمرة العبادة في الآخرة .

وأما المقاصد الدنيوية فهي أوقات تلك الأدعية التي هي عباداتٌ مخصوصةٌ بأوقات مخصوصة . . .

فكما أن «الغروب» وقت صلاة المغرب، والخسوفَ والكسوفَ وقتَ صلوات الكسوفين، لا غاية لهما . . وانقطاعَ المطر وقتَ صلاة الاستسقاء، لا أنَّ الصلاة وضعتْ لنزول المطر -كما يتوهم الغالبية العظمى من

الناس- بل هي عبادةٌ لوجه الله تدوم ما دام لم ينزل، وإذا نزل المطر انقضى وقتُها...

وكذا تَسَلُّطُ الظالمين، ونزول البلايا، أوقاتٌ لأدعية مخصوصة تدوم ما دامتْ هي، فإن رُفِعَتْ بها فنورٌ على نور. وإن لم تُرفع فلا يقال: لم يُقْبَلْ الدعاء، بل لم ينقضِ وقتُ الدعاء.

وأمّا وَعْدُ الأجابة في «أدعوني أستجب لكم» فالاجابةُ غير قبول الدعاء بعينِهِ، بل الجوابُ دائمي وإسعافُ الحاجة تابعٌ لحكمه المجيب.

مثلاً: قد تقول لطبيبك يا حكيم! فيقول: لبَّيكَ، مجيباً.

فتقول: إعطني هذا الطعام أو الدواء، فقد يعطيك عينَ ما طلبتَ أو أحسنَ منه، وقد يمنعك لضرورة يقتضيها مرضك.

ومن أسباب عدم قبول الدعاء، ظَنُّ كون الدُّعاء لهذه المقاصد الدنيوية، فمثلاً: يُظَنُّ صلاةُ الاستسقاء موضوعةً للمطر، فلا تكون خالصةً فلا تُقْبَلُ...

٠٩٦ الرجوع والمآل

إعلمْ: أنَّ في إكثار ذكر القرآن للمآل: «إليه مرجعكم»، «وإليه تُرجعون»، «وإليه المصير» «وإليه المآب» بشارةٌ عظيمة، وتسليةٌ جسيمةٌ -وإنْ تضمنتْ للعاصي تهديداً- إذ تقول هذه الآيات للناس:

إنّ الموتَ والزوالَ والفناءَ وفراقَ الدُّنيا؛ ليست هذه أبواباً للعدم والسقوط في ظلمات الفناء والأنعدام المطلق، بل هي أبوابٌ يدلفُ منها «الأنسان» الى أنوار «الحضرة الآلهية» عند سلطان الأزل والأبد...

فأمثال هذه الأشارات القرآنية، تُطمئِنُ القلبَ والفكر، وتُنْجي «الأنسان» من شقاء تصور تمزّقِهِ هو وجميع محبوباته بين براثن «وحش العدم» أو التشتت مُزَعاً بين أنياب الفناء... هذا ظنُّ «المؤمن» بربِّه كما يعلّمُهُ القرآن...

والآنَ! انظرْ الهولَ والرعبَ الذي يحيط بـ«جهنم المعنوية» التي تولدُ من تصورات الكفر، والمندمجةُ فيه... إذ بسرٍّ: «أنا عند ظنّ عبدي بي» كما ورد في الحديث القدسي... ظنَّ الكافر هكذا. فصوّر فاطِرُهُ ظَنَّهُ: «عذاباً أبدياً» عليه...

ثم انظرْ الى درجة تفوق «لذّةِ اليقين» بلقاء الله... فإن هذه اللذة تفوق لذاذات الجنة نفسها... وفوقها مرتبة «الرضى»... وتعقبُها درجةُ «الرؤية» حتى تُصْبحَ «جهنمُ الجسمانية» للمؤمن العارف «العاصي» كالجنة بالقياس الى «جهنم المعنَوية» للكافر الجاهل المحجوب عن خالقه...

٠٩٧ جرثوم النفس

إعلمْ: أنَّ النفسَ شيءٌ عجيبٌ!.. وكنزُ الآتٍ لا تُعَدُّ، وموازينَ لا تُحَدُّ لأدراك جَلَوَاتِ كنوز «الأسماء الحسنى» إن تَزكّتْ.. وكهفُ حيّاتٍ وعقاربَ وحشراتٍ إن دُسَّتْ وطغت.

فالأولى «والله اعلم» بقاؤها لا فناؤها. فالبقاءُ مع التزكية -كما هو- سلوكُ الصحابة رضي الله عنهم -أوفقُ بسرِّ الحكمة- من موتها الأتمَّ كما هو سلوكُ معظم الأولياء...

نعم إنَّ في جرثوم النفس جوعاً شديداً واحتياجاً عظيماً وذوقاً عجيباً، وإذا تحول مجرى سجاياها -بالتزكية- انقلب حِرْصُها المذموم إشتياقاً لا يشبَعُ، وصار غرورها المشؤم وسيلة النجاة من جميع أنواع الشرك، وتحولَ حُبُّها الشديد لنفسها وذاتها، حُبّاً ذاتياً لربها وهكذا... حتى تنقلبَ سيئاتُها حسناتٍ.

٠٩٨ لا حقَّ لك

إعلمْ أنَّه لا حقَّ لك في أن تَطْلُبَ حقاً من الحقّ سبحانه وتعالى، بل

حقٌّ عليك أن تَشكُرَهُ دائماً، إذ له الملك وله الحمد. . .

قطرات من بحر المعجزة الكبرى:

٠٩٩ القرآن. . ما هو؟

فإن قُلْتَ: القرآنُ. . ما هو؟

قيل لك: هو الترجمة الأزلية لهذه الكائنات، والترجُمَانُ الأبديُّ لألْسِنَتِها التاليات للآيات التكوينية، ومُفسِرُ كتابِ العالم. وكذا هو كشّافُ لمَخفِيات كنوز الأسماء المستترة في صحائف السموات والأرض، وكذا هو مفتاحٌ لحقائق الشؤون المضْمَرَةِ في سطور الحادثات. وكذا هو لسانُ «الغيب» في عالم «الشهادة». وكذا هو خزينةُ المخاطبات الأزلية السُبْحَانية والالتفاتات الأبدية الرحمانية، وكذا هو أساس العالم المعنوي الاسلامي وهندسته وشمسه وكذا هو خارطة للعالم الأخروي. وكذا هو قولٌ شارحٌ وتفسير واضحٌ وبرهانٌ قاطعٌ وترجمان ساطعٌ لذات الله وصفاته وأسمائه وشؤونه. وكذا هو مربي للعالم الأنساني. . . وهو أيضاً كالماء والضياء للأنسانية الاسلامية الكبرى، وكذا هو الحكمة الحقيقية للبشرية، وهو المرشد المهدي الى ما خُلِق له البشر.

وكذا: هو للأنسان كما أنه كتاب شريعةٍ كذلك كتاب حكمةٍ، وكما أنه كتابُ دعاءٍ وعبودية كذلك هو كتاب أمر ودعوة، وكما أنه كتاب ذكرٍ، كذلك هو كتاب فكر. وكما أنه كتابٌ واحد، لكنَّ فيه كتباً كثيرة تُشبِعُ جميع حاجات الانسان المعنوية، كذلك هو كمنزّل مقدّس مشحون بالكتب والرسائل، حتى إنه قد أبرز -لمشرب كل واحدٍ من أهل المشارب المختلفة، ولمسلك كل واحد من أهل المسالك المتباينة من الأولياء والصديقين، ومن العرفاء والمحققين- رسالة لائقةً لمذاق ذلك المشرب وتنويره، ولمساق ذلك المسلك وتصويره. . حتى كأنه مجموع رسائل. . .

١٠٠ من اسرار التكرار فى القرآن

في بيان لمعة الاعجاز في تكرارات القرآن لابدَّ من الأشارة الى النقاط الآتية:

(النقطة الأولى): إعلم أن «القرآن».. لأنه كتابُ ذكرٍ، وكتابُ دُعاءٍ، وكتابُ دعوةٍ، يكون «تكراره» أحسنَ وأبلغَ بل ألزم.

إذ الذكرُ يُكرّرُ، والدعاءُ يُردَّد، والدعوة تؤكد، إذ في تكرير «الذكر» تنويرٌ، وفي ترديد «الدعاء» تقرير وفى تكرار «الدعوة» تأكيد.

(النقطة الثانية): إعلم أن «القرآن» خطابٌ ودواءٌ لجميع طبقات البشر، من أذكى الأذكياء الى أغبى الأغبياء، ومن الموفقين المجدّين الفارغين من الدنيا، الى المخذولين المتهاونين المشغولين بالدنيا...

فإذنْ لا يتيسرُ -لكل- أحدٍ، في كل وقتٍ- قراءَةُ تمام القرآن الذي هو دواءٌ وشفاء لكل أحد في كل وقت.

فلهذا أدرجَ الحكيم الرحيم اكثرَ المقاصد القرآنية في اكثر سوره، لا سيما الطويلة منها، حتى صارت كلُّ سورةٍ قرآناً صغيراً، فسَّهل السبيل لكلّ أحد أن يقرأ ما تيسر منه، وكأنه قد قرأ القرآن بأسره، ولذا فهوينادي مُشَوِّقاً: «ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدَّكر».

(النقطة الثالثة): إعلم أنه كما أن الحاجات الجسمانية مختلفةٌ على مدار الأوقات:

فما يُطلبُ في كلِّ آنٍ كالهواء.. غيرُ ما يطلب في بعض الأوقات كالماء...

وما يطلب في كل يومٍ كالغذاء.. غير ما يطلب في كلِّ أسبوع كالضياء...

وما يطلب في كل شهر... غير ما يطلب في كل سنة... وقِسْ عليها.

كذلك إنَّ الحاجات المعنوية الأنسانية أيضاً مختلفة الأوقات. . فإلى قسمٍ في كل آن كـ«هو الله» . . . وإلى قسمٍ في كل ساعة كـ«لا إله إلاّ الله» وهكذا فقسْ.

فتكرار الآيات والكلمات للدلالة على تكرر الاحتياج، وللأشارة الى شدة الاحتياج، ولأثارة عِرق الأحتياج وإيقاظه ولفت إنتباهه الى تلك الأغذية المعنوية. . .

(النقطة الرابعة): إعلم أن القرآن مؤَسِّسُ هذا الدين العظيم المتين، ومؤصّل أصول العالم الاسلامي وواضع قواعده. ومن ميزاته أنّه يَهُزُّ نُظُمَ البشر الاجتماعية، ويقلبها ويُبْدِلُها. . . فلابدَّ لمن كان هذا شأنه وتلك وظيفته من التكرير للتثبيت. ومن الترديد للتأكيدِ، ومن التكرار للتقرير والتأييد. . .

وكذا إنَّ في «القرآن» أجوبة لأسئلة مكرّرة بألسنة «الأقوال والأحوال» من مختلف الطبقات البشرية. . .

(النقطة الخامسة): إعلم: أن القرآن يبحث عن مسائل عظيمة ويدعو القلوب الى الايمان بها وعن حقائق دقيقة ويدعو العقول الى معرفتها، فلابدَّ لتقريرها في القلوب وتثبيتها في أفكار العامة من التكرار في صور مختلفة وأساليب متنوعة.

(النقطة السادسة): إعلم أنَّ لكل آيةٍ ظهراً وبطناً، وحدّاً ومطلقاً، ولكل قصة وجوهاً وأحكاماً، وفوائد ومقاصد، فتذكر في موضعٍ لوجهٍ، وفي آخرَ لحكمةٍ أخرى، وفي سورةٍ لمقصد، وفي أخرى لآخر. . وهكذا. فعلى هذا لا تكرارَ إلاّ في الصورة. . .

١٠١ • لسان المسبّحين

سبحانَك! يا مَنْ تُسبِّحُ بحمدك هذه الكائنات السيّالةُ بتسبيحات لسان محمد عليه الصلاة والسلام، إذ هو الذي تتموّجُ أصداءُ تسبيحاته

لك على أمواج الأجيال، وأفواج الأعصار، بمرّ الفصول والعصور والأدوار.

اللّهم فَأبّدْ على صفحات الكائنات، وعلى أوراق الأوقات أصداءَ تسبيحاته (عليه الصلاة والسلام) الى يوم القيامة والعرصات...

سبحانَك! يا مَنْ تسبِّحُ بحمدك «الأرض» ساجدةً تحت عرش عظمة قدرتك بلسان محمدّها عليه أفضل صلواتك وأجمل تسليماتك، إذ هو الناطقُ بلسان الأرض، والمترجم لتسبيحاتها لك بألسنة أحوالها، وبرسالته استقرّتِ الأرض في مستقرِّ مدارها.

اللّهم فانطق الأرض بأقطارها الى نهاية عمرها بتسبيحات لسانه عليه الصلاة والسلام...

سبحانَك! يا مَنْ يسبِّحُ بحمدك جميع المؤمنين والمؤمنات في جميع الأمكنة والأوقات، بلسان «محمدّهم» عليه اكمل الصلوات وأتمّ التسليمات، إذ هو الذي تتظاهر أنوارُ تسبيحاته لك من أفواه أهل الايمان.

اللّهم فانطق بني آدم الى آخر عمر البشر بتسبيحات «محمدّك» لك، عليه صلاتك وسلامك كما يليق بحرمته، وبرحمتك، وارحمنا، وارحم أمته. آمين.

١٠٢ • لماذا... الأسباب؟

يا أيُّها الغافلُ المنغمسُ في الأسباب!

إن الأسبابَ حجابُ تَصَرُّفِ القدرة، إذ«العزة والعظمة» تقتضيان الحجابَ، لكن المتصرف الفعال -في الحقيقة- هو القدرة الصمدانية، إذ التوحيد والجلال هكذا يقتضيان، إذ سلطان الأزل له مأمورون، لكن هؤلاءِ المأمورين ليسوا وسائط ولا أجراء حتى يكونوا شركاء سلطنة الربوبية، بل هم من الدلالين المنادين الذين يُعْلِنون عن أجراءات الربوبية. ومن النُظار الذين يُشاهِدون ويَشْهدون. ويكتسبون في الانقياد

للأوامر التكوينية عباداتٍ تُناسِبُ استعداداتهم، فهذه «الوسائط» لأظهار عزة القدرة وحِشْمَةِ الربوبية.

وأمّا السلطان الانساني، فلعجزه واحتياجه يحتاجُ الى وسائط ومأمورين يَشْتركونَ في سلطنته. فلا مناسبة بين المأمور الألهي والأنساني.

نعمْ. إنَّ نظرَ الأكثر من «الغافلين» لا يُدْرك حُسْنَ الحادثات، ولا يَعْرِفُ حكمتها فيشتكي بلا حقٍّ، ويعترضُ جهلاً، فوُضعَتْ «الأسباب» لتتوجَّه الشكوى إليها وإذا وُفِقَ أحدٌ لِدَرْكِ الحكمة والحق توارتْ «الأسباب» عن نظره...

وقد قيل من باب «التمثيل المعنوي»: ان «عزرائيل عليه السلام، اشتكى اليه تعالى: بأن عبادك يشتكون مني لقبض أرواحهم!

فألقى اليه: إنِّي أضع بينك وبينهم وسائط المصيبات حجاباً حتى يتوجّهوا بشكواهم إليها لا إليك...

الحاصل: إن العزة والعظمة تقتضيان وضع الأسباب الظاهرية بردّ الشكايات الباطلة، ولئلاّ يرى العقل الظاهري مباشرةَ يدِ «القدرة» بالأمور الخسيسة الجزئية.

ولكن التوحيد والجلال -من وراء الأسباب- يردّ ان أيدي الأسباب عن التأثير الحقيقي...

١٠٣. سكة القدرة

انظرْ الى واحدة من سكاتّه سبحانه وتعالى -التي وضعها على الحياة، أُنظرْ الى الحياة كيف يصير فيها شيءٌ «كلَّ شيء» وكذا يصير «كل شيء» شيئاً.

نعم يصيرُ الماءُ المشروبُ -بإذن الله- ما لا يُعدُّ من أعضاء وأجهزةٍ في كلِّ ذي حياة. وكذا تصير جميعُ الأطعمة المختلفة الأجناس -بإذن الله- جسماً خاصاً، وجلداً مخصوصاً، وجهازاً معيناً فيصير «كل شيء» شيئاً بأمر

الله.

فَمَنْ كان له عقلٌ مفكرٌ، وقلب شاعر؛ يفهم أنَّ جعلَ شيءٍ «كلَّ شيءٍ»، وجعلَ «كلِّ شيءٍ» شيئاً... سكةً خاصة بصانع كل شيء وخالق كل شيء جلَّ جلاله...

٠١٠٤ القطرات المحلوبة..

إنّ «الحيَّ» -بجامعيته- مِثالٌ مُصَغَّرٌ للكائنات، وثمرٌ مُزْهِرٌ لشجرة العالم، ونواةٌ منوّرةٌ لمجموع الكون، أدرج الفاطرُ فيه أنموذجَ اكثر أنواع العالم، فكأنَّ «الحيَّ» قطرةٌ محلوبةٌ من مجموع الكون، بنظاماتٍ حكيمةٍ معينةٍ، وكأنه نقطة مأخوذة من المجموع بموازين حسَّاسةٍ علمية.

فلا يمكن أن يخلق أدنى ذي حياةٍ، إلّا مَنْ يأخذُ في قبضة تصرفه مجموعَ الكائنات؛ فَمَنْ له عقلٌ لم يَفْسُدْ، يفهم أنَّ مَنْ جعلَ «النحلَ» مثلاً نوعَ فهرس لأكثر الأشياء، ومن كَتَبَ في «ماهية» الأنسان أكثرَ مسائل كتاب الكائنات. ومن أدرج في نواة التينة هندسة شجرة التين، ومن جعل قلبَ البشر أنموذجاً ومرصاداً لآلاف العوالم، ومن كتبَ في حافظة البشر مُفَصَّلَ تأريخ حياته وما يتعلق به، ليس إلّا خالقُ كل شيء. وإن هذا التصرف «خاتمٌ» مخصوصٌ برب العالمين...

٠١٠٥ عبادة الطبيعة حُمقٌ وبلاهة

إعلم: يا مَنْ إستعبدتك الطبيعة واستهوتك الأسباب حتى سدَّتْ عليك بابَ الشكر، وفَتَحَتْ لك بابَ الشرك:

إن الشركَ والكفرانَ تأسَّسا على مُحالاتٍ غير محدودة، فانظر من تلك المحالات الى هذا المحال الواحد وهو أن الكافر -إذا أفاق من سُكر الجهالة- ونَظَرَ الى كفره بعين العلم يَضْطَرُّ -مُذعناً لكفره- أن يحملَ على ظهر ذرّةٍ واحدةٍ ألف قنطارٍ من العلم والمعرفة والأدراك، وأنْ يَدْرُجَ في كلِّ

ذرّة، الملايين من نُسَخ الطبيعة وصورها العاقلة المدركة والمطّلِعة على جميع دقائق الصنعة في جميع المصنوعات.

إذ كلّ ذرّة من الهواء -مثلاً- تصلحُ أن تَمُرَّ على كلِّ نبات وزهرة وشجرة وثمرة، وأنْ تعملَ في بُنيتها، فلابدَّ لهذه الذرة والقوة البسيطة المستترة فيها« إن لم تكن مأمورة، تعمل باسم من بيده ملكوتُ كلِّ شيءٍ» أن تعرفَ أسرارَ النبتة وتطلع على كيفية عمل جهازاتها لتستطيع ذرّةُ الهواء هذه أن تساهم في بناء أي نبتة من النباتات، مع أن الثمرة مثلاً متضمنةٌ لمثالٍ مصغّرٍ للشجر وأن نواتها كصحيفة أعمال الشجر وفيها تاريخ حياته.

فالثمرةً تنظر الى كل الشجرة بل الى نوعها بل إلى الارض أيضاً... ومن هذه الحيثية فالثمرة بعظمة صنعتها ومعناها في جسامة صنعة الأرض بوجهٍ، فَمَنْ بناها بهذه العظمة المعنوية الصَنْعَوية، لابدَّ أن لا يعجز عن بناء الأرض وإمساكها وتسخيرها.

فيا عجباً للكافر المنكر كيف يدعي العقل والذكاء مع أنه يتبطن بكفره في قلبه مثل هذا الحمق والبلاهة..

١٠٦ ٠ أبدية الجمال تستلزم ابدية المحب المشتاق

من الحقائق الثابتة أنَّ كلَّ ذيَ جمالٍ فائقٍ يحب أن يشاهد جمالَه بنظره ونظر غيرهِ؛. وينظرُ الى محاسنه بالذات وبالواسطة، ويشتاق الى مرآةٍ تجلو جماله المحبوبَ، ويرنو الى المشتاقين لحسنِهِ، العارفين بأسرار جماله.

فالجمال -مطلقاً- يقتضي الشهودَ، وكذلك الأشهاد، وهو يقتضي -أيضاً- وجودَ مستحسنين يتنزَّهون في رياض جماله، ومشتاقين مشدوهين بلطائف كماله...

ثم:

لأنَّ الجمال السرمدي، يقتضي -حتماً- أبديةَ المستحسن المشغوف.

ولأنَّ الجمال الدائم، لا يرضى بالمشتاق الزائل الآفل...

ولمّا كان الشخصِ المقيدُ بالزوال والفناء يعادي ما لا يصلُ إليه

فَهْمُهُ، وتطالُهُ يدُه.. ويُسيءُ الظن بمن يَدْفَعُهُ أو يطرده خارج دائرة حضوره...

فإذن من المحتمل أن هذا الشخص -وهو مهددٌ بالزوال والفناء من حضرة الجمال، يقابل ذلك الجمال الذي يستحق أن يقابل:

بمحبَّةٍ بلا نهاية،

وبشوقٍ بلا غاية،

واستسحان بلا حدٍّ،

يقابلُهُ بعداوةٍ وحقدٍ وإنكارٍ.

الحاصل: إن هذا العالم كما يستلزم صانَعه بالقطع واليقين... كذلك يستلزم صُنْعَه للآخرة -لينعَمَ الأنسانُ المشتاقُ اليه بالخلود -بلا شكٍ ولا ريبٍ...

١٠٧. الاشياء للبقاء.. لا للفناء.

ومن الدليل على أن الأشياء للبقاء لا للفناء، وعلى أن الفناءَ صُوَريٌّ فحسب، وهو يأتي في خاتمة إتمام الشيء لوظيفته؛ إذ هذا الفناء الصوريُّ بمثابة تسريحٌ -لهذا الشيء من وظيفته وإراحةٌ له من عمله -أن الفاني يفنى بوجهٍ، ولكنه يبقى بوجوه غير محصورةٍ:

أنظر من كلمات «القدرة» الى هذه الزهرة التي تُشيعُ في نفوسنا معاني الجمال والرقة والعذوبة، ما أسرع ما تزولُ وتفنى؛ كالكلمة التي تُمحى من فوق سطر كتابٍ، لكنها تُودعُ الأبصار الآلاف من مثالها وصورها، وتطبع في العقول الآف المعاني والرموز، وهي تبقَى حيةً في حافظتنا، وحافظةِ كلِّ من رآها في عالم الشهادة، وتحفظ صورهَا ومعانيها في بذورها في عالم الغيب، حتى لكأنَّ حافظة كلِّ مَنْ نظر إليها، مع حافظة بذورها، محفظةٌ تحفظ «صورها الفوتوغرافية» لوقت الحاجة..

فقس على هذا المثال «ما فوق الزهرة» من مخلوقات، وما فوقَ «ما

فوقَها» من ذوي الأرواح الباقية. . . فالأنسان سيد المخلوقات، لم يُخلق سدىً، وليس غاربه على عنقه، يِسْرَحُ في مُلك الله كيف يشاء من دون ضابطٍ أو رابطٍ. . . بل تؤخذ صور أعماله، وتُكْتَبُ وتُحفظُ نتائجُ أعماله ليحاسب عليها. . .

وإن لصانع هذا العالم عالماً آخر باقياً يسوق اليه عبادَهُ ويُشوِّقهم إليه، وإنه قد أعدَّ لهم فيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. . .

١٠٨ ـ الحفظ والحفيظية

إنَّ للمتصرف بهذا العالم حفيظية تامة بحيث «لا تغادر صغيرة ولا كبيرة» إلاّ أحْصَتْهَا وحفظتها في كتاب مبين. . . ومن أبواب هذا الكتاب المبين، بابا «النظام والميزان» اللذين تدلف منهما المخلوقات الى عالم الشهادة وتؤدي وظائفها فيه.

فإذا تمَّ عمُرُ «المخلوق» بأتمام وظيفته المقدرة، وذهب عن الوجود في عالم الشهادة، يثبِّتُ «فاطرهُ» كثيراً من صورهِ في ألواح محفوظة ويحفر تاريخ حياته في «نواتاته» و «نتاجاته» ويبقي صور ذاته في مرايا متعددة غيباً وشهادة. . .

فإن شئتَ فانظرْ الى حافظة البشر، وثمرة الشجر، ونواة الثمر، وبذر الزهر، لتفهم عظمة إحاطة «قانون الحفظ والحفيظية» حتى في السيالات الزائلات. . .

فَقِسْ من هذا قوةَ جريان هذه الحفيظية في الأمور المهمة المثمرة في العوالم «الغيبية، والأخروية».

فَيُفهَمُ من هذه «المحافظة» التامة، أن لصاحب هذه الموجودات إهتماماً عظيماً بضبط ما يجري في ملكه، وأنَّهُ دقيقٌ غاية الدقة في وظيفة حاكميته، وأنَّ (سلطنة ربوبيته) تنتظم إنتظاماً شاملاً شؤون خَلقه،

بحيث يكتبُ، ويستكتب أدنى حادثةٍ وأهونَ عمل، وأقل خدمةٍ، ويأمرُ بالأمر «التكويني» بأخذ صورة كل ما يجري في ملكه، ويحفظ ويستحفظ كلَّ قولٍ وفعلٍ وعملٍ... فهذه «الحفيظية» الشاملة المحيطة تشيرُ بل تستلزم المحاسبة... وبالخاصة: في أعظم الأعمال وأهمها، من اكرم المخلوقات وأشرفها أي «الأنسان»... لأنَّ «الأنسان» كالشاهد على كليات شؤون الربوبية، وكالدّلال على الوحدانية الألهية في دوائر الكثرة... وهو شاهدٌ أيضاً -بشهادة الأنبياء عليهم السلام- على تسبيحات الموجودات... وهكذا... مما لا يُعَدُّ من أسباب تكريمه بالأمانة وتقليده بالخلافة.

فمع هذا (أيحسبُ الأنسان أن يُترك سُدىً) ولا يُسْألُ غداً؟

كلا بل ليحاسَبُ على السَبَدِواللبَدِ[1] وسيذهب الى الحشر والأبد.

وما الحشر والقيامة بالنسبة الى قدرته تعالى إلّا كحشر الربيع، وقيامة الخريف.. فكل الوقوعات الماضية معجزاتُ قدرته. وهي تشهد قطعاً على أنه قديرٌ على كل الأمكانات الاستقبالية.

١٠٩. نقطه الكمال..

يُشاهَدُ في الكائنات أنّ الأشياء تتحرك قبل الوصول الى «نقطة الكمال» لها، ثم تَسكنُ بعد الوصول وتستقر فيتحدَّس من هنا بأن الوجودَ يقتضي الكمال والكمالُ يقتضي الثبات، فوجود الوجود بالكمال، وكمال الكمال بالدوام، فالواجبُ السرمدي هو «الكامل المطلق» وكلُّ كمالاتِ الممكنات ظِلالٌ لتجليات أنوار كماله...

فتدل هذه الحقيقة على أن الله هو الكامل المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله...

---

(١) السَبَدُ: ج أسباد: القليل من الشعر، يقال: «ما لَهُ سَبَد ولا لبد» أي لا شعر ولا صوف، يقال: لمن لا شيءَ له.

٠١١٠ النعم الثلاث

الحمد لله على نِعمةِ «الوجود» الذي هو الخير المحض، وعلى نعمة «الحياة» التى هي كمالُ الوجود، وعلى نعمة «الايمان» الذي هو كمال الحياة بل هو حياة الحيَاة. .

٠١١١ مشاهد من حديقة الارض

سبحان مَن جعل حديقةَ أرضه:

مَشهرَ صنعته،

محشَر فطرته،

مظهرَ قدرته،

مدار حكمته،

مَزهرَ رحمته،

مَزرع جنته،

ممرّ مخلوقاته،

مَسيل موجوداته،

معرض مصنوعاته،

تبسُّمُ الازهار من زينةِ الاثمار

تسجّع الاطيار من نسمة الاسحار

تهزّج الامطارِ على خدود الأزهار

ترحمّ الوالدات على الأطفال الصغار

تعرّفُ ودودٍ

تودّد رحمنٍ

تحنن منّان

للجن والانسان

والروح والحيوان
والملك والجان.

البذورُ والاثمار
والحبوبُ والازهار

معجزاتُ الحكمة
خوارقُ الصنعة
هدايا الرحمة
براهين الوحدة
شواهد لطفه في دار الآخرة.

الشمسُ كالبذرة
والنجمُ كالزهرة
والأرض كالحبة

لا تَثقل عليه بالخلق والتدبير
والصنع والتصوير

فالبذور والأثمار مرايا الوحدة،
في أقطار الكثرة
إشاراتُ القدر،
رموزاتُ القدرة،
تلك الكثرة من منبع الوحدة.
ثم الى الوحدة تنتهي،
والأنسان هو المقصود الأظهر،
من خَلْقِ هذا الشجر،
فالبشر ثَمرٌ لهذه الكائنات،
وهو المقصود الأظهر،

لخالقِ الموجودات.
فالأنسان الاصغر،
هو المدار الأظهر،
للنشر والمحشر.

٠١١٢ مرآة المظاهر..

تفاني المرآة،
زوال الموجودات،
مع التجلّي الدائم،
مع الفيض الملازم،
من أظهر الظواهر،
من أبهر البواهر،
أن الجمال الظاهر،
أن الكمال الزاهر
ليسا مُلْكَ المظاهر.
من أفصح تبيان،
من أوضح برهان،
للجمال المجرَّد،
للأحسان المجَدّد،
للواجب الوجود،
للباقي الودود.

٠١١٣ القوة معدن الضعف

في الكائنات قوةٌ مطلقة في مَعْدنِ ضعفها، وقدرة مطلقة في منبع عجزها، وحياةٌ ظاهرة في موتها وجمودها، وشعورٌ مرهفٌ في كثافة جهلها،

وانتظامٌ لا خَلَلَ منه في تغيير صورها، وفي سنن صير ورتها، وهذا يستلزم وجود «الغير» غير «المتغير»...

٠١١٤ الكاتب واحد

كلُّ زهرةٍ وثمر،
كل نبات وشجر،
بل كلُّ ذرّ وقدَر،
في كل وادٍ وجبل،
وكلِّ بادٍ وقَفْر،
خاتمٌ بيّنٌ النقش والأثر،
يُظهر لدقة النظر،
بأن كاتب ذاك الأثر،
هو كاتبُ ذاك المكان بالعبر،
فهو كاتب ظَهْر البحر
وبَطنِ البحر
فهو نقّاش الشمسُ القمر
في صحيفة السموات ذات العبر،
جلّ جلالُ نقاشها
الله اكبر.

٠١١٥ الجزئى والكلي

إنَّ من مزيات علّو القرآن.. إيراد مُذكرات الوحدة خلف مباحث الكثرة، والأجمال عقيبَ التفصيل، وإرداف الكلي وراء الجزئي، والمطلق بعد المحدود... تنبيهاً لذهن القارىء والسامع من أن يتغلغل في ذلك الجزء الجزئي الكوني المذكور؛ فينسى «عظمة مرتبة الألوهية المطلقة» ويخِلُّ

بلوازم العبودية الفكرية لذي العظمة والهيبة والكبرياء.

ويريك القرآن بهذا الأسلوب ويعلمك أن في كل جزئي -ولو كان حقيراً وزائلاً- سبيلاً واضحاً وصراطاً مستقيماً ومحجةً بيضاء الى معرفة سلطان الأزل والأبد وإلى شهود جلوات أسماء الأحد الصمد...

٠١١٦ لطائف الذكر

إعلم أنَّ في الذاكر لطائف مختلفة في الأستفاضة؛ بعضها يتوقف على شعور العقل والقلب، وبعضها يفيض من حيث لا يشعر الذاكر؛ فالذكر مع الغفلة أيضاً لا يخلو من الأفاضة..

٠١١٧ ثواب الفاتحة

إعلم: أنَّ الفاتحة المقروءة مثلاً، لا تفاوتَ بين إهداء مثلِ ثوابها لواحدٍ ولألوف أو لملايين، كمثل الكلمة الملفوظة، سواءٌ في استماعها الفرد والألوف، لسرٍ لطيف في سرعة التوالد والتكاثر في العمل اللطيف... ولرمزٍ شريف في التكثر مع الوحدة في العمل النوراني.. كمصباح قابَلَهُ مرآةٌ فرد أو ألوف من المرايا...

٠١١٨ حوار مع «الأنا»

إعلم يا «أنا» أنَّ لكَ أموراً تسعةً في دنياك، تعاميت عن ماهيتها وعواقبها:

أمّا جسدك: فكالثمرة المتزهرة صيفاً، المنكمشُة المتفسخة شتاءً.

وأمّا حيوانيتك: فانظر الى جنس «الحيوان» كيف يسرع فيه الموت والزوال.

وأمّا إنسانيتك: فمترددة بين أسباب الانطفاء والاصطفاء.

وأمّا حياتك: فكقامتك قصيرة معينة الحدود لا تُقَدَّمُ ولا تُؤَخَّرُ..

فلا تتألمْ ولا تحزنْ ولا تخف عليها ولا تُحمّلها ما لا طاقة لها به مما يُغْريك به

طول الأمل.

وأمّا وجودك: فليس ملكاً لك، فما لِكُ الملك مالِكُهُ، وهو أشفق عليه منك.. فحصر الاهتمام بهذا الوجود والقلق عليه فضولٌ وكثيراً ما ينغصُ عليك حياتك.

وأمّا مصائبك: فرغم مرارتها فهي ليست مُرَّةً لأنها تَمُرُّ سريعاً بل تحلّو لأنها تحُولُ.. وتُحوِّل وجهك من الفناء في الفاني الى البقاء بالباقي.. لأنك هنا مسافر ثم مسافر، والمسافر لا يَعْلَقُ قلبُه ما لا يتعلق به وهو سرعان ما يفارقه ولا يتبعه في سفره، فكما ترتحلُ من منزلك في هذا المسجد البتّة؛ كذلك تفارق هذه البلدة قطعاً، إمّا الى بطنها أو الى خارجها... فكما ستفارق بالضرورة، كذلك تذهب بل تُخرج وتطرد (شئتَ أم أبيتَ) من هذه الدنيا الفانية، فاخرجْ وأنت عزيز، مديراً ظهرك للدنيا قبل أن تُطرد منها وأنت ذليل مقبلاً بقلبك عليها...

وأمّا وجودك: فأفْدِهِ لموجده الذي يشتريه بثمنٍ غالٍ. فسارعْ الى البيع، بل الفداء، وإلاّ -أولاً- فهو زائلٌ مجاناً، وهو «ثانياً» اليه يؤول، وثالثاً: لأنه إذا اعتمدتَ عليه سقطتَ في العدم لأنه (باب اليه) وإذا تابعتَ شوقك الى (منبع كل موجود) وصلتَ الى الوجود الثابت.. ورابعاً: لأنه إذا تمسكتَ به كان في يدك نقطةَ وجودٍ فقط، ويحيط بك ما لا يتناهى من ظلمات العدم الهائلة.. وإذا نَفَضْتَ يدك منه استبدلتَ لمعةً بشمس فينقلب محيطك الى ما لا يتناهى من أنوار الوجود.

وأمّا لذائذ الدنيا: فَقِسْمَتُكَ تأتيك فلا تَطِشْ في طلبها، ولزوالها بسرعة لا يليق بالعاقل تعليقُ القلب بها. وكيف ما كانت عاقبة دنياك فتركُ اللذائذ أولى. إذْ إمّا الى السعادة تصير فهي تستلزم تركها، وإمّا الى الشقاوة، ومَنْ ينتظرُ الصَلْبَ كيف يلتذُّ ويستعذب ما يزيد عذابَهُ من تزيينات آلات الصلب؟! وإن كنتَ توهمتَ -بالكفر- العدمَ -والعياذ بالله- تصبح -اللذائذ- أولى بالترك، إذ بزوال اللذة يُحِسُّ ذلك العدمُ

الهائلُ المُهُ الأليم آناً فآناً في ضمن زوال اللذائذ. وهذا الألم أنتش بمراتب من لذة الوصال إن كنت تشعر...

٠١١٩ اللهم لبيك

يا مَنْ له الملك، وله الحمد.. صَلِّ وسَلِّمْ على سيد البشر الذي قلت له:

-«يا أيها النبيُّ».

فقال: لبيك. بحيث أسمعَ مِنْ «عرفاتٍ» ملائكةَ السموات العليا.

فقلت: بشرْ وأنذرْ

فنادى: «يا أيها الناس اعبدوا ربكم» فأسْمَعَ بندائه القوي هذا أدوار الزمان وأطراف المكان، إذ صار «بشيراً ونذيراً».. لأنه عَرَفَ وشاهد وتيقن، فيشهدُ بما عَلِمَ منادياً لأجيال البشر خلف الأعصار والأمصار، فأسمعَ صَوْتَهُ الدنيا بنداء «القرآن» واستولى على نصف الأرض بكمال جديته، بشهادة سيرته، وبغاية وثوقه بالآخرة؛ بشهادة زهده في الدنيا ونهاية إطمئنانه الى الحق الذي معه؛ بشهادة قوة دساتيره وسنن تعاليمه، وبكمال إيمانه، بشهادة أنه كان أعبدَ وأتقى من الكلِّ...

٠١٢٠ لمن تشُفّ الحُجب وَتكثُف؟

فسبحان الله ما أرقَّ الحجاب بين الملكِ والملكوت، وما أعظم المسافة بينهما، وما أقصرَ الطريقَ بين الدنيا والآخرة، وما أطولَها، وما ألطفَ الحجابَ بين العلم والجهل وما أغلظَه، وما أشفَّ البرزخَ بين الايمان والكفر وما اكثفَه، وما أقصرَ المسافة بين العبادة والمعصية، مع أنَّ ما بينهما كما بين الجنة والنار، وما أقصرَ الحياة وما أطول الأمل، فكما أنَّ بين الأمس واليوم حجاباً رقيقاً لا يمنعُ مرور الروح ونفوذه الى الأمس والماضي، وأن ذلك الحجاب بالنسبة الى الجسد مسافةُ سنةٍ أو الأبد، كذلك بين الملك

والملكوت، والدنيا والآخرة، حجابٌ رقيق شفافٌ لأهل القلب والروح، وغليظٌ كثيف غاية الكثافة لأهل النفس والهوى الجسماني.

وكما أن بين نهارك وليلك برزخاً لطيفاً هو جفنك، فإذا فَتَحْتَ عينَ نفسك زال ليلك وانجلى نهارُك، وإن نسيتَ نفسك فعميتَ دامَ عليك ليلك سرمداً...

كذلك مَنْ نَظَرَ بحسابه تعالى الى الكائنات صار كلُّ ما شاهدَهُ علماً، وإذا نظر بالغفلة وبحساب الأسباب صار كلُّ ما يظنه علماً جهلاً محضاً.

وكما أنَّ بين تنّور «آيا صوفيا» وشدةِ ظلماته في الليل زماناً بقَدرِ تحريك الأصبعين لمفتاح الكهرباء، وفي فضاء العالم بالتهاب البرق وانطفائه في آنٍ، واستضاءة الدنيا وظلماتها بالسحاب الأسود الكثيف وإنكشافه عن وجه الشمس بهبوب نسيم الرحمة دفعةً واحدة.. كذلك مَنْ نظر بنور الايمان والتوحيد يرى العالم مملوءاً نوراً وأُنسيةً وتحبُّباً وتوداداً، وأجزاء الكائنات أوَدّاءَ إخواناً أحِبَّاءَ مؤنسين، وبنظر الضلالة يرى العالمَ ظلماتٍ بعضهَا فوق بعض.

وهو في بحرٍ مصطلمٍ مظلمٍ يغشاهُ موجٌ من فوقه موجٌ إذا أخرج يدَه لم يكد يراها.

وكما أن ما بين وجهي المرآة -الشفاف والكثيف- أرقُّ من الورق، مع أن بينهما من الفرق- في الوظيفة والعمل- كما بين الغرب والشرق، ثم تبدلُ الوجهين، مرةً يقابلك الوجهُ الضاحك إن نظرتَ الى الوجه الشفَّاف، ومرّةً يقابلُك الوجه العابس إن نظرتَ الى الوجه الكثيف، وهذا التبدلُ بحصل بتحريك الأصبعين للمرآة، كذلك لأفعال البشر وجهان:

فبتعلُّقِ النِّية بها لوجه الله تنقلب وتُريكَ وجهاً شفَّافاً معكساً يَسَعُ في عمقه المثالي ما لا يُحَدُّ من التجليات، وبفقدان النيّة أو النيّة لغير وجه الله يظهرُ الوجهُ الجامدُ أو الأسودُ السطحي والذي لا يُغني من الحق شيئاً.

وكما أنَّ الوجهَ الأسودَ الملونَ من المرآة لا يسعُ في عمقه شيئاً ولا في عُرْضهِ، إنما يسعُ من الصور -بمقدار جرمه الأسود الصغير، وأما الوجه الشفاف، فلأتصاله بالبرزخ والمثال المطلق يسعُ مالايُحدُّ، ولايضيق عمقه عن أعظم الأشياء، كذلك الحياة لها وجهان: وجهٌ الى الدنيا أسودُ ضيقٌ فانٍ، ووجهٌ الى الحق شفّاف واسعٌ دائمٌ.

فالنفس الغافلة تلبسُ الوجهَ الأسودَ ولكن لشدة غفلتها تطلب أحكام الوجه الأشف.. بطول الأمل وطلب الأبد...

١٢١ ٠ مكّوك الليل والنهار

إعلم أننا نرى «الصانع الحكيم» بكمال حكمته، وانتفاء العبثية في صُنعه، وعدم التضييع في ملكه، ينسِجُ من الأشياء الحقيرة الصغيرة القصيرة الأعمار، منسوجاتٍ جسمية غالية عالية، دائمةً لا سيما في نسج النباتات.

وكذا بسرِّ عدم «العبثية» مطلقاً، وعدم الأسراف أبداً، نراهُ -جلّت حكمته - يُوْدِعُ في الفرد الواحد من الآلات والأجهزة، ما يستطيع -هذا الفرد- توظيفها في وظائف كثيرةٍ متنوعة مذهلة. ولا سيما في رأس الأنسان.. فلو احتلّتْ كلُّ وظيفةٍ من هذه الوظائف مقدارَ «خردلة» من رأسك لتدير منه شؤون وظيفتها، للزم أن يكون رأسك كجبل «الطور» في الكبر ليسعَ أصحاب الوظائف...

ألا ترى «اللسان» مع سائر وظائفه العظيمة، مفتشٌ لمدّخرات خزينة «الرحمن» ولجميع المطعومات المطبوخة في «مطبخ القدرة» وقسْ...

ألا تشير هذه الفاعلية الحكيمة الى أن ذلك «الصانع» يجوز، بل يجب أن ينسج من الأشياء السيّالة السريعة في «سيل الزمان» ومن الأيام الميتة والاعوام الماضية، والأعصر الخالية، نسائج غيبيةً ومنسوجات أخروية، بمكوك الليل والنهار، والشمس والقمر، في إختلاف الملوين،

وتحول الفصول، كما نسج في الأنسان الذي هو فهرسُ العالم ما يؤيد هذا، إذ يُبقي دقائق حياته الفانية بين منسوجات حافظته ومكتوباتها فيكون الفناء والموت في عالم الشهادة الضيق، إنتقالاً باقياً، وبقاءً صافياً في دوائر عوالم الغيب، وقد نسمع من منابع الوحي أن دقائق عمر الأنسان تعود اليه؛ إمّا مظلمة بالغفلات والسيئات، وإمّا مضيئةً بمصابيح الحسنات المعلقة في حلقات الدقائق...

٠١٢٢ السراج المركزي

إعلم أيها الأنسان: أنك ثمرةٌ أو نواةٌ لشجرة «الخلقة» فبجسمانيتك أنت جزءٌ صغير ضعيف، عاجزٌ، ذليل، مقيدٌ، محدودٌ. لكن الصانع الحكيم رقّاك بلطيف صنعه من: الجزء الجزئي، الى الكلِّ الكلّي.

فبإدراج «الحياة» في جسمك: أطلقك: من قيد «الجزئية» وأطلق طلائع حواسك المنبسطة، على عالم الشهادة بحثاً عن أغذيتها المعنوية.

ثم بمنحك «الأنسانية» جعلك كـ«الكلِّ» بالقوة.

ثم بإحسانه اليك بالأسلام والايمان، جعلك كـ«الكلي» بالقوة.

ثم بإنعامه عليك بمعرفته ومحبته، صيّرك كالنور المحيط، فاخترْ ما شئتَ..

فإن أخلدتَ الى الأرض واللذائذ الجسمانية، صرت جزءً جزئياً عاجزاً، ذليلاً.

وإن استعملتَ جهازات حياتك للأرتقاء بذاتك في معارج الأنسانية الكبرى التي هي «الاسلام والايمان» صِرْتَ كالكلِّ الكلّي، والسراج المركزي...

٠١٢٣ علامتان على الحدود

إعلم أيُّها المتفكر المتحير المتحدي!

إذا إنتهى علمُك الى شيء، أو رأيت في شيء جهةً من «عدم التناهي» فَسَبِّحْ بحمده تعالى على قربك من الحق. إذ «المجهولية» و «اللاتناهية» عنوانان وعلامتان نصبتا على حدود تعرف ربوبيته المطلقة جلَّ جلاله...

٠١٢٤ الحكمة والعدالة

إن للمتصرف في هذا العالم حكمةً عامةً عالية، بدليل ما أودع من مصالح وفوائد في كل شيء وبدليل ما نلمس من إنتظام واهتمام وحسن صنعة في جميع المخلوقات.

فهذه الحكمة الحاكمة في سلطنة الربوبية تقتضي ملاطفة المطيعين ومؤانسة الملتجئين الى جناحها...

وكذا يُشَاهَدُ عَدْلُهُ -جلَّ شأنه- في شؤون المخلوقات، بوضعه كل شيء في الموضع اللائق به، وإعطاء كلِّ ذي حقٍّ حقَّهُ الذي به يحيا ويعيش، والمبادرةُ لأسعاف كلِّ ذي حاجة يطلبها بلسان الحال أو المقال لأغناء وجوده وحفظ بقائه، وإجابة كلِّ ذي سؤال وبخاصة: إذا سأل بلسان الاستعداد أو بلسان الاحتياج الفطري أو بلسان الأضطرار...

فهذه العدالة تقتضي المحافظة على مالكيته وربوبيته بالمحافظة على حقوق عباده في محكمة كبرى، مع أن هذه الدار الفانية أقلُّ وأحقر وأضيق وأصغر من أن تكون مظهراً لحقيقة تلك العدالة، فلا بدَّ حِينئذٍ لهذا الملك العادل والرب الحكيم ذي الجمال الجليل والجلال الجميل من: جنّة باقية... وجهنم دائمة..

٠١٢٥ الانسان بين البداية والنهاية

إن جامعية «الأنسان» واستعداداته العظيمة الهائلة، تشير بأنَّ «البشر» ثمرةُ شجرة الخلقة، وأنه أكملها صنعة وأعظمها شرفاً. . .

ومع ذلك فوجهه الشفّاف متوّجه الى الظلمة وفضاء العدم الذي هو باطن الدنيا. . ولكن ما في «جامعية الاستعداد» من قابلية العبادة تخبرنا بأن الأنسان ما خُلق هكذا ليكون منكوسَ الرأس، يَخْلِدُ الى الفاني بل، «بالعبادة» يصرف وجهه الشفاف من الظلمة الى النور، ومن ضيق العدم الى فضاء الوجود، ومن الدنيا الى الآخرة، ومن الفاني الى الباقي، ومن الخلق الى الحق. . كأنَّ العبادة حلقة إتصالٍ بين البداية والنهاية في دائرة الخلقة. . . فتشهد الفطرة بهذا اللسان على وجوب وجود من خلق الخلق ليُعْرَفَ. . وخَلَقَ الجنَّ والأنس ليُعْبَدَ. . .

٠١٢٦ الكلمات المباركات

هذه الكلمات المباركات -التسبيح والتحميد والتكبير- التى يكررها المصلون في أدبار صلواتهم. . . شَاهَدْتُ أنها ليست تكراراً، بل هي تأسيسٌ وتثبيتٌ وتعميقٌ لأسس معانيها، وقواعد آثارها، وهي متساندة يقوي بعضها بعضاً، لا متحدةٌ يُجزيءُ واحدها عن كُلّها. . . مثلاً:

رميت حجراً في وسَط ماءٍ في حوض كبير، ستقول للدائرة المتشكلة من وقوع الحجر: واسعةٌ. . واسعةٌ. . واسعة. .

ومع لفظ «واسعة» تتظاهر لناظريْك دائرة أوسع تؤكد «معنى» السعة، وتوْميءُ الى مقاصده وثمراته. . .

وإن قلت: ما معنى: «الله اكبر» من كل شيء. . !

ما قيمة «الممكن» حتى يقال: الواجب اكبر منه؟ أين الخالقون والراحمون غيرُهُ تعالى حتى يقال: أحسنُ الخالقين وأرحم الراحمين؟

قيل لك: أيْ ما كان منه اكبر وأعلى. . .

وما كان له أحسنُ وأولى . . .

وما كان به أعظمُ وأجلُّ . . .

وهو في ذاته أكبر من كلِّ ما تتصورُهُ العقول . . .

وكذا أكبر واعظم من أن يَسْتُرَهُ ويحجبَهُ حجابُ الكائنات . . .

وأمّا أحسنُ الخالقين؟ أيْ :

هو في ذاته أحسنُ من الخالقين الذين في مرايا العقول بتجلي صفة الخالقية فيها كتجلّي الشمس في المرايا . . يقال : الشمس في ذاتها أنورُ من تماثيلها المنورين في المرايا . . .

وكذا أحسنُ في مرتبة «وجوبه» من الخالقين الموهومين في فرض الأوهام . .

وفي فرض نظرنا الوهمي الظاهري عندما يرى «الآثار» من الأسباب ويتوهم «الخالقية» . .

أيْ : هو أحسنُ خالقاً بلا حجاب «الأسباب» . . فلابدَّ أن يُتَوَجَّهَ اليه بالذات، ولا يُبالى بالأسباب الظاهرية . . .

فالله تعالى أكبر وأجلُّ من أن تحيط به الأفكار والعقول . . . وأرفع وأنْزَهُ من أن يناله العجز والقصور . .

وهو الكامل المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله جلَّ جلاله . . .

١٢٧ . العالَم العام والعالَم الخاص

اعلم ان لكل أحد من هذا العالم العام، عالماً خاصاً هو عين العام، لكن مركزه هو الشخص نفسه بدل الشمس . فمفاتيح ذلك العالم في نفس الشخص، ومعلّقة بلطائفه ولونُ ذلك العالم وصفاؤه وحسنه وقبحه وضياؤه وظلمته تابعة لذلك المركز . فكما ان الحديقة المرتسمة في المرآة تابعة في احوالها من الحركة والتغير وغيرها للمرآة، كذلك عالم الشخص تابعٌ لمركزه الذى هو الشخص كظله وتمثاله . فلا تحسبّن -ايها الانسان- صغر

جَرْمِك مخففا لعِظَم جريمتك. . . اذ ذرةٌ من قساوة قلبك. تكدّرُ عليك نجوم عالَمك.

١٢٨- كُنْ لَهُ. . . وتَشَبَّثْ برحمتِهِ!

■ إنْ كنتَ له تعالى كان لكَ كُلُّ شيءٍ، وإنْ لم تكنْ له كانَ عليكَ كُلُّ شيءٍ.

■ وكُلُّ شيءٍ بِقَدَرٍ فارضَ بما آتاك تزد يُسْرَاً على يُسر، وإلّا زِدْتَ مرضاً على مرضٍ.

■ الملكُ لهُ ويشتريهِ منكَ ليبقيَه لكَ. . . ويزولُ مِنْ بين يديكَ بدون مقابل لو بقيَ عندكَ.

■ أنتَ فقيرٌ اليه مِنْ كُلِّ وجهٍ فأظهِرْ فقركَ اليه.

■ لا لذةَ للقلب فيما لا دوامَ فيه. . . فاطلب الدوامَ والبقاءَ منه.

■ إنَّ القبرَ بابٌ باطِنُهُ الرحمةُ، وظاهِرُهُ من قِبَلِهِ العذاب. . . واكثرُ الذينَ تحبهم وتوَدُّهُمْ ساكنون خلفَ هذا البابِ. . . ألمْ يأن لكَ أن تشتاقَ اليهم وإلى عالمهم. . . . فتَنَظَّفْ قبلَ القدومِ عليهمْ وإلّا اسْتَقْذَرُوكَ. .

١٢٩٠ الكشاف الآتي

يا ناظر:

اظننى احفر بآثارى المشوشة عن امرٍ عظيم، بنوع اضطرار مني، فيا ليت شعرى هل كَشَفْتُ أو سينكشفُ. أو أنا وسيلةٌ لتسهيل الطريق لكشّافه الآتي. . !

١٣٠٠ جمال الحياة

اعلم أنّ ممّا زيّن في عينِكَ هذه الحياةَ تَلألُؤُ تماثيل نجوم الهداية من أماثل الاسلاف فى مرآة الدنيا، بسرّ أن المستقبلَ مرآةُ الماضى، والماضى

يلتحقُ بالبرزخ بمعناهُ، ويُودِعُ صورته ودنياهُ فى مرآةِ الاستقبال والتاريخ، واذهانِ الناس. مَثَلُكَ فى حبِّ الحياة بِحبِّهِمْ كمثل مَن صادف فى وجه طريقه مرآةً عظيمةً، فرأى فيها تماثيل رُفَقائِه واحبابه الذاهبين الى الشرق مُغَرَّبين فى المرآة. فيتوحش من الشرق فيهرول مغرباً، ولو كُشفَ عن وجهكَ غطاءُ الغفلة لرأيتَكَ تُسرِعُ فى بيداء خالية يابسةٍ لسرابٍ وعذابٍ لا لعَذبٍ وشَرابٍ.

١٣١ • العرش والقلب

اعلم أنّ العرش كالقلب، فقلبك فيك كُلُّكَ وانت فى قلبك ملكوتٌ، ففى دائرة الاسم الظاهر، العرش العظيم محيطٌ بالكل. وفى دائرة الاسم الباطن هو كالقلب للكون. وفى الاسم الاول -الظاهر- يشار اليه بـ(وكان عرشُه على الماء) وفى الاسم الآخر -الباطن- يرمز اليه بـ(وسقف الجنة عرش الرحمن). اذ لعرشِ مَنْ هو الاولُ والآخرُ والظاهرُ والباطنُ حصةٌ من الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية..

١٣٢ • الواحد والكثير

اعلم أنّ (الواحد) المتصرف فى (كثير) لا يلزم -لأنفاذ امره وإرادته- أن يكون مباشراً ومخالطاً ومتواجداً بين هذا «الكثير» لا سيما اذا كان «مباينَ الماهية» ولا سيما اذا كان غير «مادىّ» ولا «ممكن» بخلاف الكثير.

ففعله فى (الكثير) فعل امير الجيش مع جنوده، يحصل بالأمر والارادة بدون الاختلاط والمعالجة المباشرة.

ولو احيلتْ وظائف «الأمارة» وأفاعليها على الجنود، لزمت المباشرة الذاتية والمعالجة. أو أنقلاب ماهية الجنود الى ماهية الأمير.

(فالحق) سبحانه وتعالى مع غاية تقدسه وتنزهه وعظمته ونهاية بعدنا عنه وخساستنا يتصرف فينا كما يشاء، وهو سبحانه كالشمس قريب منا ونحن بعيدون منه جلّ جلاله.

١٣٣ ٠ كُنْ والاسباب

اعلم يا ايها المتبلى بالاسباب: انَّ خلق «السبب» وتقدير سببيته وتجهيزه بلوازم إنشاء «المسبَّب» ليست بأسهل وأولى واكمل واعلى من خلق (المسبَّب) بامر (كن) من عند مَن يتساوى فى قدرته خلق الذرات والشموس.

١٣٤ ٠ ربّ الواحدِ ربُّ الكلّ

اعلم ان هذه النجومَ والشموسَ متماثلةٌ متساوية فى الجملة، فليس ربُّها منها بالضرورة، ورب واحِدِها ربُّ كلّها، وربُّ كلِّ شىء.

١٣٥ ٠ الآنا!

اعلم: يا «أنا» المتمرد المغرور المتكبر، انظر الى درجة ضعفك وعجزك وفقرك ومسكنتك... إذ يبارزك ويصارعك فتخر صعقاً (الحُوَينُ) الذى لا يرى الّا بتكبيره (بالمجاهر) آلاف المرات بل ملايينها...

١٣٦ ٠ الحافظة

اعلم أنه من صِغَر الانسان أنه يجول فى (خردلة حافظته) ويصيرُ تلك الخردلةَ عليه كصحراء عظيمة يسرى بها دائماً ولا يستطيع قطعها، فقس درجةَ مَن يسرى دائماً ولا يتمُّ دورانهُ حول خردلة. ومع أن «الخردلة الحافظة» تصير كصحراء عظيمة فى عقل الأنسان، كذلك يصيرُ ذلك العقل كبحرٍ يبتلع الدنيا.. فسبحان مَن جعل الخردلة لعقل الانسان كالدنيا، وجعل الدنيا له -اى للعقل- كخردلة.

١٣٧ ٠ الآجال

اعلم ان كثرةَ فوائد عدم تعين الآجال عند المخلوقين، دليل نيّر على تعينها فى علم البارى ولو تعينت لتُوهِمَ عدم تعينها، وتفويض تعينها على القانون الفطرى من الاسباب والمسببات.وإذ لم تتعين فيما بين الحدين المعينين -الاسباب والمسببات- لا حقَّ للوهم أن يدّعى عدم التعين فى علم البارى عز وجل.

١٣٨ ٠ الذكر

اعلم ان الذكر من شأنه ان يكون من الشعائر، والشعائر ارفع من أن تناالها ايدى الرياء..

١٣٩ ٠ الصلاة على النبى

اعلم ان الصلاة على النبى عليه الصلاة والسلام -اجابةً لدعوة المنعمِ الذى افاضَ فيضَه وبسط مائدةَ انعامِه على مقام صاحب المعراج- واجبٌ. واذا وصف المصلي النبىَ ﷺ بصفةٍ، لابدّ أن يتأمل فى مناط تلك الصفة ليشتاق المصلّي لصلاة جديدة...

١٤٠ ٠ العقدة المغلقة

إعلم! انّ فى النفسِ عقدةً مغلقةً مدهشةً تُصيرُ الضدَّ مولِّدَ الضِدِّ، وترى ما عليها وكأنه لها.

مثلاً: إنّ الشمس تصل يدُها اليك تمسحُ أو تضربُ وجهَكَ. ولا تصلُ يدُك اليها ولا يؤثر كفُّك فيها، فهى قريبة إليك بعيدةٌ منك..! فكما أن جعلَ وجه «البُعدية» دليلاً على عدم تأثيرها فيك، ووجه «القريبة» دليلاً على تأثرها بك، جهلٌ، كذلك نظرُ النفْسِ -بعين الهوى والانانية- الى خالقها القريب اليها، البعيد منها سبب ضلالتها.

وكذا ترى النفس عظمة المكافأةِ، فمن شدة الحرصِ تقول:
ليتَ، وأنّى، ولعلّ، وعسى، وتسمع نذير المجازاةِ المرعبة، فمن شدة الخوف تتسلّى بالتعامي والأنكار.

فيا ايتها «النقطة السوداء الحمقاء» إن أفعاله تعالى، انما تليق به، وتنظرُ اليه تعالى، ولا تَنْظرُ اليكِ، ولا الى حوصلتك الضيقة، ولا بَنَى هندسة الكائنات على هوسَكِ، ولا أشهدكِ خلقها. ولقد صدق الأمام الرباني في قوله: (لا يحمل عطايا المَلِك الاّ مطاياه).

٠١٤١ الفرد والنوع

اعلم! أنه كما أن الكلمة (الفردة) مسموعة لألوف من المخاطبين كلهم كواحد لا فرق بين الواحد والملايين، كذلك نسبة الاشياء الى (القدرة الازلية) لا فرق عندها بين الفرد والنوع...

٠١٤٢ اسباب الانكار

اعلم أنه قد تصيرُ شدةُ محبةِ الشيء سبباً لأنكاره، وكذا شدة الخوف وكذا غاية العظمة، وكذا عدم احاطة العقل..

٠١٤٣ التجلي

اعلم انه كما يمكن دخول هذه الشمس -وهي سراج العالم- في عين الذباب بالتجلي.

فتنور هذه العين، ولا يمكن دخول شرارةٍ من عود كبريت في عينه بالاصالة، بل لو دخلت لانطفت العينُ وعميتْ كذلك يمكن بل يجب ان تكون كل ذرة مظهراً لتجليات شمس الازل، ولا يمكن بل يمتنع أن تكون ذرةٌ مصدراً وظرفاً لموثر حقيقي في شيء (ولو كان هذا الشيء اصغر واقل وزناً من الذرة).

١٤٤ ٠ اللطيف والكثيف

اعلم انّ من تأمل فى الكون يتحسَّسُ منه أن الفاعلية والتأثير من شأنِ اللطيف والنوراني، والمجرد . . وأن الأنفعالَ والقابليةَ والتأثر من شأن المادىّ والكثيف والجسماني.

فان شئت أنظر الى النور والى الجبلِ، فالأول يقوم فى السماء ويدُه الرقيقةُ، اللطيفة فى الارض، فعّالةٌ جَوّالة. . . وَالثاني: بعظمته وبايلديه الغليظة لا يقتدر على فعلٍ وتأثيرٍ حتى فى لصيقه وجاره.

وكذا نرى فى تفاعُلِ الاشياءِ فى الظاهر: أنّ بدرجة لطفِ الشىء ونورانيته تظهرُ مرتبةُ السببية فيه، وبالكثافة يتقرَّب الى درجة (المسبَّب)، فيُعلمُ من هنا أنّ خالق الاسباب الظاهرية، وموجِدَ (المسبِّبات) هو نورُ الانوار، الذى (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير). . (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير). .

١٤٥ ٠ مستلزمات العبودية

اعلم أنّ العبودية تستلزم التسليم دون الاختبار والتجربة والامتحان، إذ (للسيد أن يختبر عبْده، وليس للعبدِ أن يختبر ربَّه).

١٤٦ ٠ الارض تكبّر

اعلم أن النبى ﷺ ونبوته فذلكةُ الكمال والخير، وان سنَّتهُ ودينَه فهرسُ السعادة والحسنِ المجرّد. وقد نرى فى العالم كمالاً فائقاً وحقاً ناطقاً، وخيراً شاهقاً، وحسناً مشرقاً، فبالضرورة يكون الحقُ والحقيقةُ فى جانب «النبى». والضلالة والوهمُ والعدمُ في خلافه، وإن شئت فانظر الى هذا الجمال الباهر الأخّاذ فى صورة واحدة من ملايين الصور التى جاء بها النبى فى «حُسن العبودية لله وجمالها»:-

وهي توحيد قلوب الموحّدين، وجمعُ السنتهم فى امثال صلاة العيد

والجمعة والجماعة، حيث يقابلُ هذا الانسانُ عظمةَ خطاب «المعبود» الازلي بجميعِ اصواتِ القلوب وادعيتها وأذكارها، بتظاهُرٍ وتضافُرٍ، فى اتفاقٍ وتساندٍ وتجاوبٍ، فى سَعَةٍ وكأن هذه الارضَ تنطق بنفسها وتصلى باقطارها، وتمتثل بأطرافها أمر: «أقيموا الصلاة» النازل بالعزّة والعظمة من فوق السمواتِ السبع، حتى صار هذا الانسانُ المخلوقُ الضعيفُ -مع صغرِهِ وكونهِ كذرةٍ بين هذه العوالم- عبداً محبوباً لخالق الارض والسموات، وخليفة الارض، وغاية خِلْقة الكائنات.

ألا ترى أن لو اجتمع فى الشهادة كما فى الغيب اصوات المكبرينَ البالغين مئاتِ الملايين في آنٍ واحد بـ«الله اكبر» فى صلاة العيد، وادبار الصلوات الخمس، تساوى تكبيراتهم هذه تكبيرة كرة الارض لو كبرّت!.

فكأن الارضَ فى العيد يتزلزلُ زلزالُها، فتكبرُ الله باقطارها، ووديانها وجبالها، وتتكلمُ من صميم قلب قِبْلتِها، بنِعمِ مَكّتِها بـ«الله اكبر»، فتتموج كلمتها مُتمثلَةً في هواء كهوف أفواه المؤمنين المنتشرين في أطرافها وكذا في اطراف البر زخ والسموات جلَّ جلالُ مَن خَلقها ومَهَّدها وجعلها مسجداً لعبادهِ سبحانه..

١٤٧ ٠ الأبواب المفتوحة

اعلمى يا ايتها النفسُ الجاهلة- أن الابوابَ المفتوحة، والنظّارةَ الى الله سبحانَهُ. عددَ طبقاتِ العالمِ وصحائفِهِ، وعدد المركبات المتصاعدة والمتنازلةِ.

فما اجهَلكِ، اذا إنسدَّ فى وجْهكِ بابٌ، عُدْتِ تتوهمينَ إنسدادَ كلِ الابواب. مَثَلُكِ فى هذا كمثل رَجُلٍ دخلَ بلداً غريباً. فلم يَر واحداً من حرسِ السلطان -مع وجود سائر جيوشه ودوائر حكومته- فيسارعُ وينكرُ وجود السلطان نفسِه، ويتعسّفُ فى تأويل شعاراتِه ومعالمه..

١٤٨ ٠ مَن أنتَ؟

انتَ مُجسَّمُ الحكمة النقّاشهِ، ومتجسَّدُ العلمِ المختار، ومُنْجَمدُ القدرةِ البصيرةِ بما يليقُ بكَ، وثمرةُ الرحمةِ السميعةِ لنداء حاجتِكَ، ومتصلّبُ العقل المريد لما يريدُه استعدادُكَ، ومتكاثفُ إنعامِ العليم بمطالِبكَ، وصورةُ القَدَر المُرسَمِ بيد المهندس الخبير بما يناسب بناءَك.

فكيف يمكنكَ الذهاب بجُزئكَ الجزئي الاختيارى، والشعرَةِ الشعوريةِ، وتَخلُصَ -بزعمك- من حكم «الكلِّ» وتصيرُ حراً بنفسكَ، ثم ترجِعُ تقيسُ «الكل» على «الجزء» فكيف تتغافل عن مالِكِكَ المالكِ لكلِّ شيء؟ وكيف تتوهم -مع هذا العلم- أنْ ليس عليكَ، رقيبٌ، سميعٌ، بصيرٌ، عليمٌ، مجيبٌ، مغيثٌ، يسمعُ أنينَاتِكَ، يَبْصُر فاقاتك، ويعلم جناياتكَ..

١٤٩ ٠ قيودك

اعلم أنك مقيدٌ بالتعينّ، مقيدٌ بالبَدَنِ، مقيدٌ بالعمر، محدود الحياة فى محدود البقاء، بمحدود الاقتدار. فحينئذٍ لابد ألاّ تصرف هذا العمرَ القصيرَ القليلَ الفاني للفاني حتى يَفنى، بل اصرِفْهُ للباقى ليبقى.

١٥٠ ٠ محالٌ

اعلم كما أنه من المحال الظاهر للعيان أن يكون (المنير) غير متنور والموجِدُ غير موجودٍ، «والموجبُ» غير واجبٍ...

كذلك محالٌ أن يكون منعمُ العلم غير عالِمٍ، وواهبُ الشعورِ غيرَ ذى شعورٍ ومعطي الاختيار غير مختارٍ، ومفيضُ الارداة غير مُريدٍ، وصانعُ المكمَّلِ غير كاملٍ، وهل يمكن أن يكون مرسَمُ العين، ومصورُ البَصَرِ، ومنوّر النَّظر غَير بصير؟ بل من الواجب أن يكون ما فى المصنوع من انواع الكمالِ من فيضِ الكمال المناسِب للصانع.. والمكروبُ الذى لا يَعرفُ

من الطيور الاّ البعوضة، اذا رأى البازىّ يَقول: ما أظن أنّ هذا من الطيور، اذ ليس له ما للبعوضة من شكلٍ وصورة.

١٥١ . الشرك الخفي

اعلم انّ الشركَ الخفي الناشىءَ من الانانية، اذا تصَلَّبَ انقلب الى شركِ «الاسباب» وهو إذا استمرّ تحوّل الى الكفر، وهو اذا دام تبدّل الى التعطيل، والعياذ بالله.

١٥٢ . طلب الضياء

اعلم أن طلب الضياء -والنفسُ مَطويةٌ بيد الظلام- مؤلم عظيم الالم، مُخلٌّ بحرمة الضياء، وملوّثٌ له. فلابد -لطالب الضياء- من التعرى والانسلال من الظلمة اولاً، ثم النظر منها -لا فيها- الى الضياء.

١٥٣ . حيرةُ العقل

اعلم أنّ «الواجب الوجودِ» كما لا يُشْبِهُ «الممكنَ» فى الذاتِ والماهية، كذلك لا يُشبهُهُ فى افعاله. مثلاً:

لا فرق بالنسبة الى واجب الوجود -بين القريب والبعيد، والقليل والكثير، والصغير والكبير، والفرد والنوع، والجزءِ والكلِّ، بالحدس الشهودي، وكذا لا كلفةَ ولا معالجةَ ولا مزاولةَ ولا مباشرةَ فى فعله، خلافاً للممكن. ولهذا يتحيرُ العقل فى فهم كُنهِ افعاله تعالى فَيَظنُّ الفعلَ وكأنه «لا فعلَ».

١٥٤ . من اعاجيب الخَلْقِ!

اعلم أن كون البعوضةَ والعنكبوتَ والبرغوثَ وامثالها أذكى بمراتبَ، وأجزلُ فِطرةً، واتّمُ صنعةً من الفيل والجاموس والابلِ، مع قِصَرِ اعمارِ هؤلاء، وعدم نفعها ظاهراً، بخلاف اولئك:

برهانٌ باهرٌ، وآيةٌ نيّرةٌ على أن الصانعَ لا كلفة ولا معالجة ولا تعمّلَ فى خلقِهِ الاشياء.. بل يقول: «كن فيكون» ولا يَحكُمُ عليه شىء، يفعل ما يشاء لا اله الاّ هو.

١٥٥. شُميسَةُ الحُباب

اعلم أن شُميسةَ الحُباب، كما انها جزءٌ، كذلك هى جزئي، اذ هى شمسٌ بالهوية الظلّية دون الماهية الأصلية، فهيَ لا هىَ ولا غيرَها، فاشتراكُ الكائنات بأسرها للتعرّض لنور الشمس، لا يُنقِصُ من حصةِ الحُبابِ فى نور الشمس شيئاً، سواءٌ -وجودها وعدمها أى وجود الكائنات أو عَدَمُها -بالنسبة اليه.

فللحباب أن يقول: الشمس بالتمام لي وفىّ، ومُتوجهةٌ اليّ

١٥٦. جمع النساء والرجال

اعلم ان «جمع النساء» مذكّرٌ يتخاشنُ. كما أن «جمعية الرجال» مؤنثةٌ تتلاينُ، باشارة «وقال نسوةٌ...» «وقالت الاعراب...» وجمع الضعفاء قويٌ، وجمع الاقوياء ضعيفٌ.

١٥٧. ما اشدَّ ظلم الانسان

اعلم أنّ أظلَمَ الخلقِ الانسان، فانظر ما أشدَّه ظُلماً، فَلِشّدّةِ حبّه لنفسه لا يُعطي للاشياء قيمةً الاّ بمقدار خِدْمَتِها لِنفسِه، وينُظرُ الى ثمرتها بمقياس نَفْعِها للانسان، ويَظُنّ العلةَ الغائيةَ في الحياة -وهى الانسانُ نفسُهُ- عينَ الحياةِ.

كلاّ. انّ للخالق فى كلِّ حىٍّ حِكَماً تَدِقُّ عن العُقولِ، لِمَ لا يجوزُ أن تكونَ هذه الحيواناتُ القصيرةُ الاعمار، والحويناتِ السريعة الزوال، مبادىءَ ونماذجَ ومصادرَ واساساتٍ ونواتاتٍ لغرائبَ مثاليةٍ، وبرزخيةٍ، وملكوتيةٍ، وترشحاتٍ وثمراتٍ لتصرفاتِ القدرةِ فى الغيب..؟

١٥٨ ٠ عبيد الشريعة والفطرة

اعلم أن الله بكمال قدرتهِ صيّرَ جميعَ ذرات الكائنات عبيداً لشريعته الفطرية، واوامره التكوينية، فكما يقول للذباب: كن هكذا... كذا يقول بعين السهولة لجميع الحيوانات: كونوا بهاتيك الصفات، بهاتيك الاشكال، وبهاتيك الاعمار، فيكونون كما أُمروا بلا كِلْفَةٍ.

١٥٩ ٠ الالوهيةُ المحيطة

اعلم أن عظمة الالوهية، وعزّتَها واستقلالها، تستلزم دخولَ كلِّ شيءٍ مطلقاً -عظيماً أو حقيراً، أعظم الاشياء وأخسَّها- تحت تصرفها.

فخسَّتُكَ وحقارةُ احوالك لا تستلزم خروجك من دائرة هيمنتها؛ اذ بُعدُك لا يستلزم بُعدَه سبحانه، وحقارةُ صفتك لا تستلزم حقارةَ وجودك، وتلوثُ وَجْهِ المُلكِ فيكَ، لا يستلزم تلوثَ ملكوتِكَ، وكذا لا تستلزم عظمةُ الخالق خروج الحقير عن تصرفه؛ اذ العظمة الحقيقية تستلزم الاحاطة، والانفراد فى الايجاد.

١٦٠ ٠ النورُ الكشافُ

اعلم أن المادىّ الكثيف كلما تعاظم تباعد عن الدقائق والخفايا، وتقاصرت يدُه عنها.

وأما «النورُ» فكلما تعاظمَ وتعالى كان اتمَّ نفوذاً فى الخفايا والدقائق وكلما كان النور ألطف كان اكشفَ لباطن الشىء كشعاع «رونتكن» فاذا كان هذا هكذا. فى «الممكن» المسكين، والكثرة المشوشة، فكيف بنور -الانوار القادمة من طرف «الوجوب» والوحدة، العالم للاسرار ومدبرِّ الليل والنهار؟ فعظمتُه تستلزم الاحاطةَ والنفوذَ والشمولَ!

١٦١ ٠ لاشى يحجبك عن العناية

اعلم ان المناسَبةَ وحتى المكالمةَ لا تستلزمُ التساوىَ ولا التداني ولا التشابهَ فقطرةُ المطر، وزهرةُ الثمرِ لهما مناسبةٌ ومعاملةٌ مع الشمس، ومع ذلك فشتّانَ بينَ الشمس وبين قطرةِ المطرِ، وزهرةِ الثَمرَ.

فيا ايها الانسانُ لا تحسبَنَّ أن «حقارَتَك» تَستُرُك عن نظر عنايةِ «خلاق الكون».

١٦٢ ٠ النتيجة والبرهان

اعلم أنه قد يستعظِمُ المرء «النتيجة» وهى «التوحيد المحض الخالص» ولا يَسَعُها ذهنُه الكاسد، أو لا يتحملُها خيالُه الفاسد، فيشرع بِرَدِّ براهينها الصحيحة القاطعةِ، ويتعلّلُ بأن النتيجةَ «التي بهذه العظمة لا يمكن ان يقيدَها ويقيمَها هذا البرهان. فالمِسكينُ لا يعرفُ أنَّ «قيُّوم النتيجة» الايمانُ، وما البرهانُ الاّ منفذٌ يُنْظر به اليها. . أو مكنسةٌ تزيحُ الاوهامَ عنها، مع أن «البرهان» ليس واحداً، بل -للتوحيد- براهينُ عددَ رمال الدهناء، وبمقدار حصى البطحاء، وقطرات الامطار، وامواج البحار.

١٦٣ ٠ موازيب الرحمة

اعلم أن مَن هيأ «البطيخ والتفاح» لأكلِكَ، لابد أن يكونَ أعلم بأكلِكَ منكَ، وخبيراً بذوقكَ الوجدانى الذى لا يدريه غيرُك، فما العروق والاغصان الاّ موازيبُ الرحمة، ومُسيِّلاتِ النعمةِ. !

١٦٤ ٠ الظواهر والحقائق

اعلم ان الحقيقةَ تُشبِهُ الظاهِرَ فى الصورة، مع عظمةِ بعد ما بينهما فى الوقت نفسه. مثلاً: التوحيدُ العامي -عند عامة الناس- ظاهرىٌ يَثْبُتُ

عندهم بعدم إثبات شيءٍ من الاشياء، أو اسنادِه الى غيره تعالى، وهذا النفي سهل بسيط.

أما التوحيد لأهل الحقيقة فانما يثبُتُ بأن يُثْبتَ الموحدُ كلَّ شيءٍ مما يشاهِدُ من الاشياء ويسنِدُه اليه سبحانه، ويرى فيه «سكّته» ويقرأ عليه «خاتمَهَ» جل جلاله وهذا الاثبات يُثبتُ الحضور الدائم لله فى قلب الموحّد، وينفي النسيان والغفلةَ.

١٦٥ ٠ القطرات والبحور

اعلم ايها الانسان -أن أمامك مسائلَ عظيمةً هائلةً، تُجبرُ كلَّ ذى شعورٍ على الاهتمام بها.. منها الموتُ الذى هو فراقُك عن كلِّ محبوباتكَ من الدنيا وما فيها، ومنها السفر الى أبد الآباد فى أهوالٍ دهّاشةٍ، ومنها عجزُك غير المعدود فى فقرك غير المحدود، فى سَفَرِك غير المحصور، فى عمرٍ معدودٍ محدودٍ، وهكذا.

فما بالَك تناسَيت وتعاميتَ عنها -كطير الابِل اى «كالنعامة» تخفى رأسَها فى الرمل، وتغمضُ عينها لئلا يراها الصياد -الى كم تهتمّ بالقطرات الزائلة ولا تبالي بالبحور الدّهّاشه.

١٦٦ ٠ الدنيا... وجناح بعوضةٍ..!

اعلم انه كثيراً ما يُتوهمُ -بقصور الفهم- ما هو من منابع الحقيقة، ومعادن الحق، انه مخايلُ المبالغة ومَظانُّ المجازفة.

مثلاً: روي «لو وزنت الدنيا -عند الله- جناح بعوضةٍ، ما شرب الكافرُ منها جرعةَ ماءٍ» أو كما قال...

المراد لا يساوى ما تمثَّلَ فى مرآةِ حياتكَ الفانية وسَعَةِ عمرك الزائل من مظاهر هذه الدنيا الزائلة، مقدار جناح من عالم البقاء.

كما أن حبة باقية بالتنبُّتِ تَرْجَحُ على بيدَرٍ من «تبن» يفنى بالتفتُّت.

فلكل أحدٍ فى هذه الدنيا دنياهُ الخاصةُ. فان نظر الى دنياه «بالمعنى الحرفي» واستعملها للباقي كانت لها قيمةٌ عظيمةٌ، والاّ فَلِفَنائِها لا توازى ذرةً باقية، وقِسْ عليها بعضَ ما وردَ فى ثواب بعض الاذكار مما لا يجرى فى مقاييس العقل..

١٦٧. الانقلابات والجسور

اعلم أنّ بالانقلاب من حالٍ الى حالٍ ينفرجُ بين الحالينَ وادٍ معنويٌ فسيحٌ، فلا بد للمرور من حالٍ الى حالٍ من جسرٍ محدود فوقَه فيه ما يناسب العالَمينَ لنمُرَّ عليه بالتعرّى من لباسِ «العالَم لأول» وارتداءِ ما يناسبُ «العالمَ الثاني» الذى سنصيرُ اليه..

ولهذا الجسر أشكالٌ متخالفةٌ، وهيئاتٌ متباينة، واسماءٌ متنوعةٌ، باعتبار أجناس الانقلابات، وبُعدَ مقامِ «المُنْقَلَبِ اليه» عن نوع «المنقلِبِ».

فالنوم جسرٌ بين عالم اليقظةِ والمثالِ، والبرزخُ جسرٌ بين الدنيا والآخرة، والمثال جسرٌ بين العالَم الجسماني والروحانى، والربيع جسرٌ بين الشتاء والصيف.

وأما ما فى «الحشر» فتحدثُ انقلاباتٌ عظيمةٌ هائلة كثيرة، وجسور هذه الانقلابات اعجَبُ واعظمُ وأغربُ..

١٦٨. انت وميزانُ فاطِرِكَ

اعلم ان ما ارسله اليك وَزِينُكَ سبحانَه وتعالى -الذى وَزَنَ فيكَ كلَّ شى من الرأسِ الى القدم- أقول: إن ما ارسله اليكَ من اشتاتِ النِعَمِ والمحاسِنِ واللطائفِ، انما تمُرُّ «بميزان» من خلال جُحُبٍ متباينةٍ، وتتسلّلُ «ينظام» من بين لفائف متخالفةٍ وتتوجه اليك «بالانتظام» من خلف طوائفَ متضادّةٍ.

٠١٦٩ لا عمل بلا اخلاص

اعلم أن عِرقَ «الرقابة والغبطة والحسد» انما يتحركُ مُنْتفِضاً فى الانسان عند أخذِ الاجرة، وتوزيع المكافأة ونيل الجائزة. . وأما عند «الخدمة» وفى وقت «العمل» فلا. . . بل الاضعفُ يحبُّ الأقوى، والادنى يميل الى الاعلى، ويستحسن تفوقَهُ عليه، ويحبُّ تقدّمه فى الخدمة عليه. لأنه يخففُ عنه ثِقَلَ الخدمةِ، وكلفةَ العمل.

فاذا كانت الدنيا دار خدمةٍ وعملٍ فقط للامور الدينية، والاعمال الأخرويةِ، فمن الغريب ان «يتحاسد» العاملون في خدمة الايمان فيضيعُ الاخلاصُ ويَبْطُلُ العملُ.

وقد يلاحظ -خادُم الايمان- مكافأةً دنيويةً عاجلة، وهى تقديرُ الناس له واستحسانُهُم لخدمته، ولا يعرُف المسكين أنه بهذه «الملاحظة» والوقوف عندها قد أبطلَ عَمَله بعدم الاخلاص فيه، واشراك الناس مع «رب» الناس فى اعطاءِ الثواب. . وبذلك تضعُفُ قوتُه، وينْفُر الناس عن معاونتِهِ. .

٠١٧٠ مرصاد الابد

اعلم ان فى النفس امراً لطيفاً كدرهمٍ من ورقٍ رقيقٍ، يُظَنُّ أنه «مرصادُ الابد» اذ ما يمسُه شى الّا ويعطيه حُكمَ الابد، ويُمَوهه بماء ذهب الابدية، واذا استعمله الهوى والهَوَس، صار آلةً تجلب احجار الآخرة، ولَبِناتِها الى الدنيا، فيبنى -قصر الآخرة- عليها، ويأكل -من ثمّةَ- اثمار الآخرةِ -بلا نضجٍ فى الدنيا الفانية. .

٠١٧١ الاقرب اليك من نفسِكَ

اعلم يا (أنا) اذا كانت نفسُك احبَّ اليك، لأنها اقربُ اليك من كل شىء فلابد أن يكون ربُّكَ احبَّ اليك منك. . . اذ هو أقربُ اليك من

نفسك . . الا ترى أنّ ما لا يصلُ اختيارُك وخيالُك اليه من أسرار ما رُكّبَ فيكَ، هو حاجزٌ مشاهدٌ لربِّك . .

١٧٢ . لمن المُلك

ايها المتفرعنُ : جرّب نفسَك، هل تقتدرُ أن تملكَ شيئاً من الكون؟ .
فاذهب واستمع ما يقولُ كلُ فردٍ جزئيٍ، اذ يقول بلسان المِثلية :
«من تملّكَ مجموعَ نوعٍ يمكنُ أنْ يدّعى التملّك علىّ والاّ فلا» .
ثم اذهب الى النوع تَرَكل نوعٍ يقول بلسان الانتشار:
«من تملّك الارضَ ظهراً وبطناً يمكنُ له أنْ يدّعى التملّك علىّ والاّ فلا»
ثم اذهب الى الارض تَرها تقول بلسان التساند بينها وبين أختِها السماء :
«من تملّك مجموع الكائنات يمكنُ لهُ أن يَدعىّ التملّك علىّ والاّ فلا» .

١٧٣ . الاخرة ثمرةُ الرحمة

انّ لصاحب هذا العالم رحمةً وسعَت كلَّ شيء، ومن لطائف تلك الرحمة شفقةُ الوالدات مطلقاً -حتى النباتاتُ- على اولادها، وسهولةُ حصول اطفال الحيوانات وضعفائها على ارزاقها. وهذه الرحمةُ الغامرة الواسعة تقتضى فضلاً وأحساناً يليقان بها، فالدنيا -على سعتها- لا تكفيها لكي تستوفى ابعادَها وعظيمَ بحارها . . .
انظر اين مقتضى هذه الرحمة فى هذه الدنيا الفانية، وفى هذا العمر القصير الذي لا يفي بقطرةٍ من بحار تلك الرحمة .
فزوالُنا -بلا عودةٍ فى الآخرة كما يَتوهم المنكرون- يُصيّرُ النعمة نِقْمةً، والشفقةَ مصيبةً، والمحبةَ حُرقةً، والعقل عقاباً، واللذة المآ .
وبهذا تنقلب حقيقة الرحمة، وتُمسَخُ صورتُها الجميلة المشاهدةُ فى ارجاء هذا الكون . وتلزم المكابرة بانكار مظاهرها المشهودة كانكارِ الشمس مع شهودِ امتلاء النهار من ضيائها .

وكذا يُعلَم مِن تصرفات صاحبِ هذا العالَم ومالِكِه أن له جلالاً وعزّةً يقتضيانِ تأديبَ من لا يوقِرُه، وقهرَ مَن يستخفُّ به، كما فعل بالقرون السالفة فى هذه الدنيا مما يدل على أنه لا يُهمِلُ وإن أمهلَ، وكذا يُفهم من اجراءاتِه انه غيورٌ لا يرضى لأحدٍ أنْ يستخفَّ باوامره ونواهيه.

نعم. لا غرابةَ أنَّ مَنْ يتعرفُ الى الناس بعوالِمَ مصنوعاته ومنظوماته، ويتودّد اليهم يامثال هذه الازاهير الموزونات، ويتجلّى عليهم برحمته بامثال هذه الثمرات المزينات، ثمّ يتجاهلونه ولا يعرفونه بالايمان، ولا يتحبَّبُون اليه بالعبادة، ولا يَمْحضُونه الشكر والامتنان -الاّ قليل منهم- أقول لا غرابةَ:

أن يُعدّ لهم فى مقرّ ربوبيته الابدية دار مجازاةٍ ومكافأة.

الفهرس

ص	الموضوع
٥	المؤلف في سطور
٧	المقدمة
٢٣	(الترجمة العربية لمقدمة المثنوي التركية)
٢٧	تنبيه
٢٨	١- النية
٢٩	٢- غاية حياتك أيها الانسان
٣٠	٣- الموازين
٣١	٤- العدد
	٥- من أسرار التكوين
	٦- لطيفة انسانية
	٧- قطرات النعم
٣٢	٨- التراب
٣٣	٩- القرآن والقلب
	١٠- الايمان والكفر
	١١- إكسير الأيمان
٣٤	١٢- المحبة
	١٣- السنة
	١٤- الدعاء
٣٥	١٥- جامعية القرآن
	١٦- الذباب الاستاذ
٣٦	١٧- إبل الطير «النعامة»
	١٨- الدعاء وسر التوحيد
	١٩- العجز معدن النداء
٣٧	٢٠- بذور الجنة وبذور جهنم
	٢١- الفرد والجماعة
	٢٢- دوائر الانسان
٣٨	٢٣- الوحدة والكثرة في الانسان
	٢٤- كلمة التوحيد
	٢٥- الانسان هذا العالم العجيب
٣٩	٢٦- الأوائل والأواخر
	٢٧- إعجاز القرآن
	٢٨- آلاء الله
٤٠	٢٩- العجز والقدرة
	٣٠- المعرفة
	٣١- المضيِّف والضيف
٤١	٣٢- القرآن في سورة
	٣٣- العصبية الجاهلية
	٣٤- طلبات النفس
٤٢	٣٥- زوايا الرؤية في الانسان
	٣٦- لطف المناسبة مع الله
	٣٧- نور محمد ﷺ .
٤٣	٣٨- النواة والثمرة
٤٥	٣٩- الراعي والشياه
	٤٠- القلب مرآة الصمد
٤٦	٤١- القرب والبعد
	٤٢- أنت والدنيا
٤٧	٤٣- حسبي الله ونعم الوكيل
٤٨	٤٤- في طريق الله
	٤٥- شمولية القرآن

ص	الموضوع
	وموازينه
٥٠	٤٦- القَدَر
	٤٧- شمس النبوة
	٤٨- أدب الاستماع الى القرآن
٥١	٤٩- من أسرار «لا حول ولا قوة إلاّ بالله»
٥٢	٥٠- التفكر نور يذيب الغفلة
	٥١- الروح بين آماله وآلامه
٥٣	٥٢- وظيفة الأحياء
	٥٣- الأسباب
٥٤	٥٤- أنت الباقي
٥٥	٥٥- انتبه قبل أن تغرق
	٥٦- دنياك قبر
٥٦	٥٧- أطِعْ سلطان لطائفك
	٥٨- سنة الفاطر الحكيم
٥٧	٥٩- الفواصل القرآنية
	٦٠- تلميذان
٥٩	٦١- الكتاب المبين
٦١-	٦٢- اترك الكل وتوكل عليه
	٦٣- ثلاثة كتب
٦٢	٦٤- نور معرفة الحق
٦٣	٦٥- القرآن والجمهور
	٦٦- الباطن والظاهر
٦٤	٦٧- وجهك والوجوه الأخرى
٦٥	٦٨- ماذا تريد النفس
	٦٩- الفاتح الخاتم
٦٦	٧٠- من أعاجيب الانسان ومناقضاته

ص	الموضوع
	٧١- القياس الشيطاني
٦٧	٧٢- الانسان الكامل
٦٨	٧٣- التوقف هو العدم
	٧٤- الحلوة المرّة
	٧٥- الحق فوق الأهواء
٦٩	٧٦- أشجار الآخرة
	٧٧- اللباب والقشور
٧٠	٧٨- القرآن وأفهام الجمهور
٧١	٧٩- حقائق الآيات
٧٢	٨٠- فسق الخيال
	٨١- المألوف غير المعلوم
	٨٢- معلومات البشر ومسلماتهم
٧٣	٨٣- الـ «أنا» مفتاح العالم
٧٤	٨٤- «أنا» بين الفلسفة والنبوة
٧٦	٨٥- شجرة العالم
٧٧	٨٦- كل شيءٍ مكتوب
٧٨	٨٧- ميزات الانسان
	٨٨- من أسرار الاسماء الحسنى
٧٩	٨٩- أقصر الطرق الى الله
٨١	٩٠- سر الأنتظام في «عدم الانتظام»
٨٢	٩١- لا تشتّتْ جنود صبرك
٨٣	٩٢- التعاون دستور الحياة
	٩٣- الخوف والمحبة
٨٤	٩٤- مسألة في النحو
	٩٥- الدعاء والأجابة

ص	الموضوع
٨٥	٩٦- الرجوع والمآل
٨٦	٩٧- جرثوم النفس
	٩٨- لاحقَّ لك
٨٧	قطرات من بحر
	المعجزة الكبرى:
	٩٩- القرآن.. ماهو؟
٨٨	١٠٠- من أسرار التكرار
	في القرآن
٨٩	١٠١- لسان المسبحين
٩٠	١٠٢- لماذا... الأسباب؟
٩١	١٠٣- سكة القدرة
٩٢	١٠٤- القطرات المحلوبة
	١٠٥- عبادة الطبيعة
	حُمقٌ وبلاهة
٩٣	١٠٦- ابدية الجمال
	تستلزم أبدية
	المحب المشتاق
٩٤	١٠٧- الاشياء للبقاء..
	لا للفناء
٩٥	١٠٨- الحفظ والحفيظية
٩٦	١٠٩- نقطة الكمال
٩٧	١١٠- النعم الثلاث
	١١١- مشاهد من حديقة
	الارض
٩٩	١١٢- مرآة المظاهر
	١١٣- القوة معدن الضعف
١٠٠	١١٤- الكاتب واحد
	١١٥- الجزئي والكلي
١٠١	١١٦- لطائف الذكر
	١١٧- ثواب الفاتحة
	١١٨- حوار مع «الأنا»
١٠٣	١١٩- اللهمَّ لبيك
	١٢٠- لمن تَشُفُّ الحُجب

ص	الموضوع
	وتكثُف
١٠٥	١٢١- مكّوك الليل
	والنهار
١٠٦	١٢٢- السراج المركزي
١٠٧	١٢٣- علامتان على الحدود
	١٢٤- الحكمة والعدالة
١٠٨	١٢٥- الانسان بين
	البداية والنهاية
	١٢٦- الكلمات المباركات
١٠٩	١٢٧- العالَم العامُ
	والعالَم الخاص
١١٠	١٢٨- كُنْ له وتَشَبَّثْ
	برحمته
	١٢٩- الكشاف الآتي
	١٣٠- جمال الحياة
١١١	١٣١- العرش والقلب
	١٣٢- الواحد والكثير
١١٢	١٣٣- كنْ والأسباب
	١٣٤- ربُّ الواحدِ ربُّ
	الكُلِّ
	١٣٥- الأنا!
	١٣٦- الحافظة
١١٣	١٣٧- الآجال
	١٣٨- الذكر
	١٣٩- الصلاة على النبي
	١٤٠- العقدة المغلقة
١١٤	١٤١- الفرد والنوع
	١٤٢- اسباب الأنكار
	١٤٣- التجلي
١١٥	١٤٤- اللطيف والكثيف
	١٤٥- مستلزمات العبودية
	١٤٦- الأرض تُكبِّرُ

ص	الموضوع
١١٦	١٤٧- الأبواب المفتوحة
١١٧	١٤٨- مَنْ أنتَ؟
	١٤٩- قيودك
	١٥٠- محالٌ
١١٨	١٥١- الشرك الخفي
	١٥٢- طلب الضياء
	١٥٣- حيرة العقل
	١٥٤- من أعاجيب الخَلْقِ!
١١٩	١٥٥- شُميسَةُ الحُباب
	١٥٦- جمع النساء والرجال
	١٥٧- ما أشدَّ ظلمَ الانسان
١٢٠	١٥٨- عبيد الشريعة والفطرة
	١٥٩- الألوهية المحيطة
	١٦٠- النورُ الكشّافُ

ص	الموضوع
١٢١	١٦١- لا شيء يحجبك عن العناية
	١٦٢- النتيجة والبرهان
	١٦٣- موازيب الرحمة
	١٦٤- الظواهر والحقائق
١٢٢	١٦٥- القطرات والبحور
	١٦٦- الدنيا وجناح بعوضه
١٢٣	١٦٧- الانقلابات والجسور
	١٦٨- أنتَ وميزان فاطرك
١٢٤	١٦٩- لا عمل بلا إخلاص
	١٧٠- مرصاد الأبد
	١٧١- الأقرب اليك من نفسك
١٢٥	١٧٢- لمن الملكُ؟
	١٧٣- الآخرة ثمرة الرحمة

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١١٩٧ لسنة ١٩٨٣
انتهى الطبع في ١٩٨٤/١/١٧
﴿ طبع في مطبعة الزهراء الحديثة بالموصل ﴾

«المثنوي العربي النوري، ليس سوى لوحة فنية رائعة الجمال، رسمها فكرٌ ملتهب ولوّنها قلبٌ دامٍ، وسكب عليها الظلّ والضياء روحٌ حزين مغترب، فلا عجب إن شدّتْ -هذه اللوحة- إليها الانتباه، وقيدت بها الأفكار، وحبست عليها الأرواح وأوقفت لها القلوب..

وهي بموسيقية ألوانها، وتناغم ظلالها وأضوائها، وإشراق آفاقها، وامتداد أمدائها، وعمق أبعادها، وجمال تعبيرها؛ تأسر الألباب، وتشدّه النفوس، وتهز رواكدَ الأشواق في الانسان الى «ما وراء» هذا العالم الضيق المحدود.. وإلى «ما وراء» هذه الحياة التى مهما طالت فهي دون ما يرجوه من خلود، ودون ما يُراوده من آمال في البقاء والأبد».

ربيع الأول ١٤٠٤هـ - كانون الأول ١٩٨٣م

السّعديناروا حد

مطبعة الزهراء هاتف ٤٨٣٨ الحدباء بالموصل